وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة - يحيى فارس - المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: علوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

موقف العلماء من الوجود العثماني في المشرق خلال ق 16م-17م (الشام ومصر أنموذجا)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الدولة عثمانية 1453م1924م

إعـــداد الطلبـــة:

- صبرين عبدو
- زينب لعبيدي

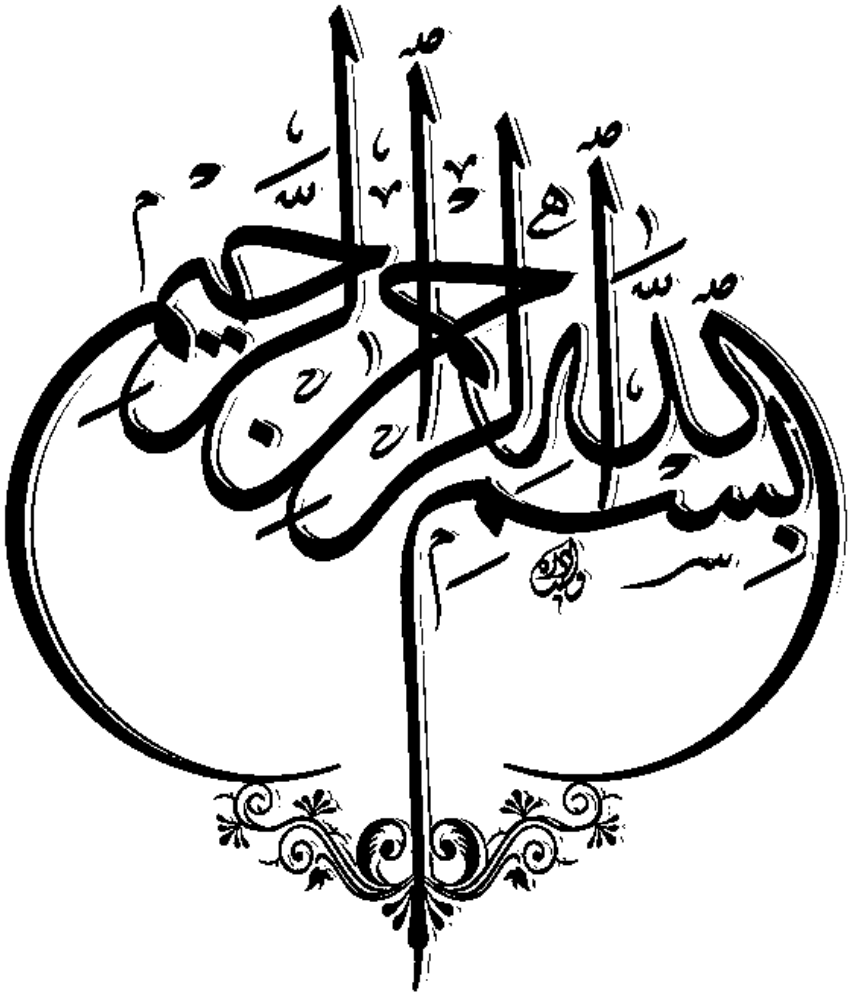
إشـراف الأستـــــاذ:

- د- مولود قرين

السنة الجامعية:

1441-1440هـ

2020-2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وعرفـــان

باسم الله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى خير الأنام، أما بعد: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله".

نحمد الله حمداً كثيراً على نعمه الكثيرة التي أنعمها علينا، نحمده تبارك وتعالى على أنه أمدنا بالصحة والعافية، ونحمده عز وجل على أنه وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا الرشد والثبات لإعداد هذا العمل المتواضع.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف مولود قرين الذي تولى الإشراف على هذا البحث وأعطانا من وقته وجهده وتوجيهاته، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

والشكر أخيراً إلى كل طاقم قسم التاريخ من إداريين وأساتذة وعمال وطلبة وإلى كل من أعاننا على إنجاز بحثنا هذا ولو بكلمة تشجيع أو دعوة صادقة.

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا»

الآية 23 من سورة الإسراء.

إلى الذي علمني علم الأخلاق قبل علم القراءة والكتابة الذي جاهد عواصف الحياة من أجلي وكان لي سنداً وعوناً أطال الله في عمره أبي العزيز.

أهدي عصارة فكري إلى التي حملتني تسعا وأرضعتني حولين والتي مهما قلت أو فعلت فلن أوافيها حقها حفظها الله ورعاها نبع الحنان أمي الغالية.

إلى إخوتي: نور الإيمان، نسمة، ندى، محمد.

إلى من شاركتني إعداد هذه المذكرة " زينب الغالية"

إلى صديقاتي ورفيقات دربي: خيرة، سهيلة، نوال، سمية.

صبرين

إهداء

إلى مؤنستي وريحانة قلبي

أمي الغالية

إلى والدي أطال الله عمره

إلى إخوتي مختار، كريم، هيثم

إلى من شاركتني حلم هذه المذكرة

غاليتي صبرين

إلى كل الصديقات: آسيا، فتيحة، ليلى، رزيقة، تركية

إلى كل من يحملهم قلبي ولم يذكرهم قلمي.

زينب

قائمة المختصرات

ط	الطبعة
ج	الجزء
م	المجلد
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعريب
إش	إشراف
د.ط	دون طبعة
د.ت.ن	دون تاريخ نشر
د.ب.ن	دون بلد نشر
م.ش.ج	مؤسسة شباب الجامعة
م.م.ف.ل	منشورات مؤسسة فيصل للتمويل
ع	العدد

المقدمـــة

المقدمة

شهد القرن السادس عشر عدة تحولات على الساحة العالمية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة، فقد بدأ الضعف يظهر على دولة المماليك التي كانت تحمل لواء الإسلام وحماية المسلمين منذ سقوط الدولة العباسية حيث وقفت عاجزة أمام التحالف الصفوي البرتغالي، وإنشاء البرتغاليين لمستعمرات في بعض المواقع في جنوب العالم الإسلامي وتعاظم الخطر الصفوي وامتداد الخطر الشيعي وتهديده للأماكن المقدسة، في حين كانت جارتها العثمانية تشهد ذروة قوتها وأقصى اتساعها في الجبهة الشرقية فباستلام السلطان سليم العرش العثماني حول أنضاره نحو الجبهة الشرقية لمواجهة الصفويين وذلك لعدة لأسباب سياسية ومذهبية وتجارية وعرقية ذلك أن الصفويين كانوا يعملون على نشر المذهب الشيعي في الأناضول على حساب المذهب السني وقطعوا طريق التجارة مع الهند والشرق الأقصى، ومنعوا نزوح المزيد من قبائل التركمان من آسيا الوسطى إلى الأناضول وأوروبا الشرقية فكان السلطان سليم يهدف إلى السيطرة على طرق التجارة بين الشرق والغرب والتوسع على حساب القوى في المشرق والقضاء على المد الشيعي وتوحيد الامصار الإسلامية حتى تكون يداً واحدة في مواجهة أوروبا، فالتقى الفريقان في سهل جالدران سنة 1514م وإلتحما في معركة كبيرة كان النصر فيها إلى السلطان سليم وفر الشاه ناجياً بحياته، أما سليم فتقدم إلى تبريز عاصمة خصمه الصفوي ورجع عائداً إلى بلاده، ثم تقدم العثمانيون بعد انتصارهم على الصفويين لإخضاع السلطنة المملوكية بعد وصول أخبار للسلطان العثماني على تحالف صفوي مملوكي، فنشب بينهم وبين المماليك معركة على الحدود الشامية التركية تعرف بمعركة مرج دابق سنة 1516م وهزم المماليك مرة ثانية وبذلك دخلت المنطقة

العربية تحت الحكم العثماني بعد أن قدمت كل من الحجاز واليمن ولائهما للسلطان العثماني.

وقد دام الوجود العثماني في البلاد العربية ما ينيف عن أربعة قرون من الزمن شكلت محل جدل في أواسط العلماء والمؤرخين بحيث اختلفوا في تحديد طبيعة الوجود العثماني في بلاد المشرق العربي وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال موضوع دراستنا.

أسباب اختيار الموضوع: يعود سبب اختيارنا لموضوع البحث إلى عدة أسباب:

1- ميلنا لدراسة تاريخ المشرق العربي والحكم العثماني

2- رغبتنا الشخصية لدراسة مثل هذه المواضيع ذات الأبعاد التاريخية التي مازالت تلقي بظلالها على الوطن العربي إلى يومنا هذا

3- رغبتنا في الإطلاع على الموضوع لفهمه بصورة أكبر ومعرفة طبيعة الوجود العثماني في البلاد العربية

وكذا الدافع الموضوعي الذي يتمثل في أهمية الموضوع بحكم أنه يعالج مرحلة مهمة من التاريخ العربي والعثماني وكذلك ظاهرة الضم العثماني للبلاد العربية هي من الظواهر الجديرة بالدراسة والتي لم يفصل فيها لحد الآن لذلك كان من الواجب القيام بدراسة نقدية باحثة متأنية بعيدة كل الأهواء والنزاعات المتحاملة من الدولة العثمانية أو المتعاطفة معها ودراسة هذه الفترة الحساسة الحاسمة في تاريخ العربي كفيلة بوضع الأسس الجوهرية التي ينبغي اتباعها اليوم وفي المستقبل القريب بخصوص طبيعة المبادئ الأساسية التي تحدد هوية الامة وتعبر عن قضاياها ومفرزاتها الإيديولوجية

الإشكالية:

أما بالنسبة إلى إشكالية البحث المطروحة هنا هي:

ما هو موقف العلماء من الوجود العثماني في المشرق العربي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وجب طرح مجموعة من التساؤلات لمعرفة ملامح الموضوع والتي تمثلت فيما يلي:

-كيف كان الدخول العثماني للمشرق العربي؟

-ماهي طبيعة العلاقة بين العلماء والسلطة؟

ما هي مواقف العلماء من الوجود العثماني في المشرق وكيف كان رد فعل الدولة العثمانية من هذه المواقف؟

المنهج المتبع:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي من خلال سرد ووصف الاحداث أو الوقائع التاريخية وفق تسلسلها الزماني والمكاني والمقارن في بعض النقاط

مثل السياسة العثمانية في مصر والشام إلى جانب المنهج التحليلي من خلال تحليل مواقف العلماء وقانون اليسق العثماني.

الخطة المتبعة: وللإجابة على إشكالية البحث قسمنا موضوعنا إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة حيث تضمنت المقدمة التعريف للموضوع والإشكالية، وكان المبحث الاول بعنوان الدخول العثماني للبلاد العربية وتضمن أربعة هي: المطلب1: أسباب التوجه العثماني نحو المشرق، المطلب2: الدخول العثماني للشام، المطلب3 :الدخول العثماني لمصر، المطلب4: السياسة العثمانية في البلاد العربية. أما

المبحث الثاني فجاء تحت عنوان العلماء وعلاقتهم بالسلطة وتضمن ثلاث مطالب: المطلب1: تصنيفاتهم، المطلب2: أهم الوظائف التي تقلدوها،المطلب3: علاقتهم بالسلطة، في حين جاء المبحث الأخير بعنوان موقف العلماء من الوجود العثماني في المشرق وتضمن أيضا ثلاث مطالب: المطلب1: الموقف المعارض، المطلب2: الموقف المؤيد، المطلب3: رد فعل الدولة العثمانية من هذه المواقف.

المصادر والمراجع:

ولإثراء الموضوع حاولنا الإلمام والحصول على قدر كبير من المصادر والمراجع من بينها كتاب" بدائع الزهور في وقائع الدهور" لإبن إياس باعتباره مصدر مهم حيث تطرق إلى حوادث العثمانيين وما قاموا به كفاتحين وما حاولوا تغييره وإصلاحه وأبدى ما شعر به ودون ما شاهد فلا يكاد يخلوا أي جزء من بحثنا من حوادثه وأخباره والأمر نفسه لكتاب : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان" لابن طولون إضافة إلى بعض المراجع مثل كتاب : الكاتب والسلطان من الفقيه إلى المثقف" لخالد زيادة حيث أفادنا هذا المرجع كثيراً في المبحث الثالث من خلال تناوله ليسق العثماني وكذا كتاب " المجتمع المصري تحت الحكم العثماني لميكل ونتر الذي اعتمدنا عليه في معرفة اتجاهات المصريين حول الحكم العثماني.

صعوبات الدراسة:

لا يخلوا أي بحث من الصعوبات التي تتشكل عقبة للباحث ولعل ابرز الصعوبات التي واجهتنا:

-قلة المصادر المتخصصة في الموضوع فمعظم الدراسات اهتمت بتناول التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري.

–وجود نفس المعلومات في بعض المراجع والمتناقضة في كتب اخرى مما أدى إلى صعوبة المقارنة والتوظيف.

معظم مصادر الموضوع لا تزال مخطوطة في المكتبات والاخرى تعتمد على النظام الحولي المحشو بالحوادث اليومية مما يحول دون سهولة الوصول إلى الحادثة التاريخية.

–صعوبة التواصل بسبب الظروف الصحية وانتشار الوباء وما ترتب عنه من ضغوطات نفسية.

لكن رغم كل الصعوبات التي واجهتنا تحدينا بالعزم والإرادة وتمكنا من إعداد بحثنا والحمد لله.

المبحث الأول : الدخول العثماني للبلاد العربية

المطلب الأول : اسباب التوجه العثماني نحو المشرق

المطلب الثاني : الدخول الى الشام

المطلب الثالث: الدخول الى مصر

المطلب الرابع: السياسة العثمانية في البلاد العربية

تمهيد

يعد القرن السادس عشر عصر التحول في الحوض العربي بإتجاه الخضوع للسيطرة العثمانية التي استمرت اربعة قرون في المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والتي تتعابت لمدة أربعة قرون ،حيث شهد النصف الأول من القرن السادس عشر التوسع العثماني وفرض السيطرة العسكرية في حين مثل النصف الثاني منه تأسس للقوانين وتطبيقها حتي اوائل القرن العشرين مما ادي الي انعكاسات علي مجمل الحياة في البلاد العربية التي طبعت لاحقا بطابع العثمنة.

المطلب الأول: أسباب التوجه العثماني نحو المشرق

عندما ارتقى السلطان سليم الأول [1] العرش العثماني كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مفترق طرق هل تضل على هذا القدر من الاتساع في دولة بلقانية أناضولية أو تستمر في التوسع الإقليمي في أوروبا أو تتجه نحو المشرق الإسلامي والواقع ان السلطان سليم الأول قد أحدث انقلابا في الاستراتيجية العسكرية العثمانية ، فقد توقف في عهده الزحف نحو الغرب الأوروبي أو كاد أن يتوقف واتجهت الدولة العثمانية اتجاها شرقيا في قلب المشرق العربي[2] ويختلف المؤرخون في تفسير هذه الظاهرة ، مما أدى الى ضهور ثلاث نظريات تحاول كل منها أن تفسر لماذا اتجه السلطان سليم الأول في فتوحاته نحو المشرق العربي وهذه النظريات الثلاث هي :

1 –نظرية التشبع العسكري العثماني في أوروبا: إذ يرى أصحاب هذه النظرية أن الدولة العثمانية كانت قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر وانه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع [3] و الحق أن الفتوحات العثمانية لم تنقطع تماما في الجهة الغربية ولكن لاريب أن مركز الثقل في التوسع العثماني قد انتقل نهائيا من الغرب إلى الشرق منذ أوائل القرن السادس عشر ، حتى أنه يمكن القول بأن موقف

1–سلطان عثماني (1516–1520) قلع أباه بايزيد وقتل إخوته وأجلس نفسه على العرش قتل نحو ألف الشيعة وحول أنظاره إلى سوريا ومصر. أنضر: علي مولى، الموسوعة العربية الكبيرة، ط1، المكتبة العربية، بيروت لبنان، 2010، ص180.

2–ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ،1965، ص42.

3–أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، 2012، ص60.

4–نفسه، ص61.

الدولة العثمانية في الجهة الغربية كان موقفا دفاعيا أكثر منه هجوميا [1] وهذا الرأي يتفق مع المنطق التاريخي، فلكل دولة مدى معين من التوسع ودولة مركزها الأستانة من المعقول أن يقف مداها عند المجر. [2]

2-نظرية النزاع الصفوي العثماني : ويرى أصحاب هذه النظرية أن سياسة الدولة الصفوية في إيران والمتعلقة بمحاولة بسط المذهب الشيعي في العراق واسيا الصغرى هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى الخروج إلى المشرق العربي لحماية اسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة [2]

فقد حدث أن قامت في إيران الأسرة الصفوية [3] وتزعم الشاه إسماعيل الصفوي [4] حركة قومية دينية عملت على وحيد إيران والتمكين للمذهب الشيوعي في البلاد المجاورة والمتاخمة لها وغزا العراق عام 1508م لأنه يضم مقابر أئمة الشيعة في كربلاء والنجف وهي التي يطلق عليها المزارات او العتبات المقدسة، وأخذ إسماعيل الصفوي يعمل على إثارة العثمانيين بطرق شتى فأصبحت إيران ملجأ الفاريين من وجه السلاطين العثمانيين [5].

1-محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر ،1982، ص99

2-الصفوية: أصل هذه السلالة من أذربيجان ونسبت إلى إسحاق صفي الدين المتوفى 739هـ ومن إسمه أخذت السلالة اسمها. انظر: سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من القيام إلى الإنقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت لبنان، 2013، ص152

3-شاه إيران(1501-1524م) ومؤسس الأسرة الصفوية في إيران والقائد الديني الذي أسس الحكم للصفويين وشاعر أغزر في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. أنظر: بديع جمعة أحمد الخوالي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دط، دار الرائد العربي، القاهرة مصر ،1976، ص25.

4-إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض،1996، ص26.

كذلك أخذ الصفويين يبثون دعوتهم الشيعية في الأناضول معتمدين على الأقليات الشيعية المنتشرة هناك للقيام بثورة ضد الحكم العثماني السني، وثار الشيعة بالفعل في السنة الأخيرة من حكم السلطان بايزيد الثاني ولاكن السلطان سليم أخمد الفتنة[1] وشرع في تنفيذ سياسة الاضطهاد ضد الشيعة المقيمين في الدولة العثمانية ففرقهم في الولايات العثمانية الأوروبية، ورد إسماعيل الصفوي على ذلك بإقامة مذابح عامة ضد السنة في بلاده وتطورت المذابح إلى حرب سافرة بين الدولة العثمانية السنية والدولة الصفوية الشيعية [2] وانتصر سليم في موقعة جالدران[3] ودخل تبريز عاصمة إيران واستولى على أذربيجان وأخضع كردستان وديار بكر وماردين وشمال العراق وعاد الى بلاده، غير أن الموقف العسكري ضل مائعا بعد معركة جالدران وراكدا فهو لم يؤد إلى انهيار إحدى الدولتين العثمانية أو الصفوية كما تضح أن سقوط إحداهما سقوطا مباشرا أمر متعذر وأن الموقف يتطلب محاصرة العدو بالاستلاء على المناطق المحيطة بها ومن هنا فإن استلاء العثمانيين على بلاد الشام مصر لم يكن سوى حلقة من حلقات الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية[4].

1-يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر محمود سليمان، تن محمد الأنصاري، ط1،م1،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول تركيا،1988،ص215.

2-ياغي، المرجع السابق، ص27.

3-جالدران: هي معركة وقعت في 23 أغسطس 1514 بين قوات الدولة العثمانية بقيادة السلطان سليم وقوات الدولة الصفوية بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي انتهت بانتصار القوات العثمانية واحتلالها مدينة تبريز عاصمة الدولة الصفوية وأدت إلى وقف التوسع الصفوي لمدة قرن من الزمن وجعلت العثمانيين سادة الموقف. أنضر: عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، دار النفائس، بيروت لبنان،1999، ص86.

أنضر أيضا: الملحق رقم واحد ص72

4-أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت لبنان،1986،ص76-84 .

3-نظرية النزاع البرتغالي العثماني: ويرى أصحاب هذه النظرية أن العثمانيين قد اتجهوا في فتوحاتهم نحو المشرق العربي لحمايته من الخطر الأوروبي أو البرتغالي الذي كان قد بدأ يظهر حول المنافذ البحرية للمشرق العربي وحاول أن ينفذ من مضيق باب المندب إلى البحر الأحمر با التحالف مع حكام الحبشة المسحيين [1].

تلك هي النظريات الثلاث التي تحاول تفسر اتجاه الفتوحات العثمانية نحو المشرق العربي في مطلع القرن السادس عشر ونلاحظ أن النظرية الأولى والثانية تفسر هذا الاتجاه من زاوية الأحداث المحلية المحيطة بالمشرق العربي أما الثالثة فتفسر الاتجاه العثماني الجديد من زاوية الاحداث العالمية التي أخذت بدورها تؤثر في مناطق الشرق الأوسط ورغم تعصب كل فريق من المؤرخين لرأيه أو نظريته فإننا لا نرى ما يمنع من أن تكون هذه العوامل جميعها مسؤولة مشتركة عن الاتجاه الشرقي للدولة العثمانية.

والحقيقة أن أسباب النزاع كانت قد توفرت بين الدولة العثمانية وبين دولة المماليك [2] التي كانت تحكم وقت ذاك مصر والشام وأهم هذه الأسباب ما يلي:

-الخلاف على تخطيط الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمالي الشام، فقد تناثرت في هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت في ولائها بين الدولة العثمانية ودولة

1-محمد أنيس، السيد رجب حرزان، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة مصر،1967،ص35-40.

2-المماليك: مفرد مملوك العبودية والرق لأنه يعني ان المملوك ملكية خاصة لشخص اخر وقد كان المماليك من الرقيق فعلا إذ كانوا يجلبون أطفالا من الأسواق ثم يتم تدريبهم عسكريا ليكونوا حكام المنطقة العربية من الأيوبيين. انظر: قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة مصر،1998، ص25.

المماليك وكان هذا التأرجح مبحث اضطراب في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع مستمر وأراد السلطان سليم الأول أن يحسم مسألة الحدود بالسيطرة سكانها ومنطقتها [1].

-أن السلطان قانصوة الغوري [2] سلطان المماليك أوى إليه بعض الأمراء العثمانيين الفارين من السلطان سليم وأراد الغوري أن يتخذ من وجود هؤلاء الأمراء أداة ضغط على السلطان سليم [3].

-السياسة التي اتبعها السلطان الغوري أثناء الحرب التي قامت بين السلطان سليم الأول وبين الشاه إسماعيل الصفوي فهو لم يلتزم الحياد التام بين العثمانيين والصفويين ولم يتخذ موقفا عدائيا صريحا من السلطان سليم. [4]

ولهذه الأسباب لم تلبث الحرب أن استعرت بين الدولتين العثمانية والمملوكية وهذا ما سنذكره في الفصلين اللاحقين.

1-الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي1288 هـ-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007،ص57.

2-قنصوة الغوري: الأشرف أبو النصر قنصوه الغوري الجركسي اخر سلاطين المماليك البرجية ولد سنة 1446م ضل في مصر إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب. انظر: محمد دراج الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م، ط2، الجزائر ،2013، ص431.

3-نيقولاي إيفانون، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، تع يوسف عطا الله، مر مسعود ظاهر، ط1، دار الفارابي، بيوت لبنان،1988، ص53.

4-نفسه، ص54.

المطلب الثاني: الدخول العثماني إلى الشام

بعد ذكر الأسباب التي أدت إلى إشعال فتيل الحرب بين العثمانيين والمماليك وتغلب السلطان سليم الأول على الصفويين في شمالي وغربي إيران، بدأ السلطان العثماني يستعد لإخضاع دولة المماليك بتوجه نحو الشام، وتحرك الجيش العثماني عبر الأناضول في ربيع 1516م بقيادة السلطان وتعداده ستون ألف مقاتل وثلاثمئة مدفع [1].

ولم علم الغوري بأنباء التحرك العثماني، حرك هو الأخر جيشه الذي خرج به من القاهرة وقد بلغ ثمانين ألف جندي [2]، وكان خروجه من مصر يوم السبت 16 ربيع الأخر سنة 921هـ-1515م صحبة15 أميرا والأربعة الأئمة من المذاهب الأربعة وخليفة سيدي أحمد البدوي وخليفة سيدي إبراهيم الدسوقي وخليفة سيدي أحمد الرفاعي وخليفة سيدي عبد القادر الجيلاني وكان معه المؤذنون الدواخل والوعاظ وكان له نظام عظيم [3].

والتقى الجيشان في مرج [4] وكان ابتداء الحرب يوم الأحد الثالث والعشرين رجب سنة921هـ وكامن المعركة جد قصيرة ذلك أن نائب حل وفقا لخطة مرسومة سلفا يسارع إلى الهروب مع جزء من الجيش الذي دب الإرتباك في صفوفه لتحصده

1-أوزتونا، المرجع السابق، ص232.

2-محمد بن أحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر،1984،ص123.

3-إبن زمبل الرمال، آخرة المماليك، تح عبد المنعم عامر، إش عبد الرحمان الشيخ، الهيئة المصرية للكتب، القاهرة مصر،1998 ،ص97.

4-مرج دابق: هو إسم يغلب عليه التذكير والصرف لأن أصله في الغالب إسم نهر، وهي من أعمال عزاز وتتميز بمرجها العشبي الذي كان ينزل فيه بنو مروان ونل يسمى اليوم بتل سليمان. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت لبنان، ص416.

انظر أيضا: الملحق رقم01 ص72

المدافع العثمانية [1] بحيث يقول ابن زمبل الرمال واصفا الجيش العثماني "فلما اتضح النهار ركبوا كالبحر الزاخر، فإذا صفوف العثمانية قد بانت صفا بعد صف خارجا عن الوصف ، والأعلام الملونة من اليسار والميمنة وهم سائرون كالبحر السيال والمحيط الميال وقد رتبوا الصف من كل الطرق فإذا طير من الطرف الكبير فيه السلطان سليم مدفع كبير كالبرق الخاطف والرعد القاصف تزلزلت عنه تلك الصحراء وطلع دخان كالجبال الزرقاء" [2] فكانت بذلك الغلبة على الجراكسة وعدم الغوري في الحرب .[3]

وتعود أسباب الإنكسار المملوكي في هذه الواقعة إلى الأسباب التالية:

-التفوق العسكري العثماني واستخدامهم للأسلحة النارية والمدفعية المجرورة مقابل إستخدام المماليك للسوف والأسلحة التقليدية والإعتماد على قوات الفرسان

-خيانة خاير بك [4] نائب مدينة حلب وانضمامه للجيش العثماني وهذا الإنظمام كان له دور في تثبيط معنويات وفعالية الجيش المملوكي ويقال أن الاتصالات بين هذا النائب والعثمانيين كانت قبل اندلاع المعركة بمدة من الزمن

1-روبير منتران و آخرون، تاريخ الدولة العثمانية، تع بشير السباعي، ج1،ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة مصر ،ص214 .

2-إبن زمبل، مصدر سابق، ص98.

3-يوسف الملواني إبن الوكيل، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، ط1، دار الأوقاف العربية، القاهرة مصر،1999، ص69.

4-خاير بك: الأمير خاير بك الجركسي أحد أمراء المماليك الجراكسة وهو أول حاكم لمصر تحت السلطة العثمانية وآخر والي مملوكي في حلب تدرج في المناصب الحربية حتى وصل إلى رتبة حاجب في عهد السلطان قانصوة الغوري الذي عينه بعد ذلك نائبا على حلب عام 1504 م وضل نائبا حتى1516 أ نظر: محمد التوجيني، بلاد الشام إبان الحكم العثماني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيوت لبنان،2004، ص.96

ويذكر أيضا أن العثمانيين من أجل إغراء هذا الأخير للانضمام إلى صفوفهم وعهدوه بمنصب سياسي في حالة انتصارهم [1]

– معنويات الجيش العثماني العالية وانخفاض معنويات المماليك وافتقادهم على الوحدة والإنسجام والانضباط عكس الجيش العثماني

–النظام الاجتماعي الثابت العادل في الدولة العثمانية وظلمه في دولة المماليك [2] وهذا ما يفسر ترحيب سكان حلب بالعثمانيين حيث يذكر إبن إياس أن سكان مدينة حلب قاطبة وثبوا على المماليك وقتلوا جماعة من العسكر ونهبوا سلاحهم وخيولهم وسروجهم ووضعوا أيديهم على ودائعهم التي كانت بحلب وجرى عليهم من أهل حلب مالم يجري عليهم من عسكر بني عثمان [3].

ودخل السلطان العثماني مدينة حلب ثم سد أبوابها إلا بابين أحدهما من جهة الروم والآخر من جهة دمشق وسكن على القلعة وعلى سور البلد أناس من رماة البنادق وأخذ جميع ما فيها من الودائع عند أهلها للمنهزمين وأحسن إلى فقهائها وفقرائها ودخل تحت طاعته خاير بك فأكرمه. [4]

انتقل السلطان سليم من حلب إلى حماه في19 أيلول وإلى حمص في21 أيلول وإلى الشام في23 أيلول ولم يلق أي مقاومة وبقي في مدينة عرش الأمويين

1- غربي، مرجع سابق، ص61.

2-محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط1، المركز المصري للدراسات وبحوث العالم التركي، القاهرة مصر ،1999،ص27.

3-إبن إياس المصدر السابق، ج3،ص49.

4-محمد إبن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، المؤسسة المصرية للنشر والتوزيع،1964، ص281.

شهرين و18 يوما وأمر بإصلاح الجامع الأموي وقبري صلاح الدين الأيوبي والشيخ الأكبر محي الدين إبن عربي وطلب تشييد جامع باسمه. [1]

وحصل سليم الأول في الجامع الكبير بحلب وفي حضور الخليفة العباسي المتوكل على لقب خادم الحرمين وكان هذا اللقب أول من لقب به هو السلطان قانصوة الغوري بعد تحصين جدة ضد البرتغاليين [2] وصل صلاة الجمعة وخطب باسمه ودعي له على منابر حلب وأعمالها. [3]

ثم خرج من دمشق قاصدا التوجه نحو الديار المصرية فتسلم طرابلس وصفد وغزة وبيت المقدس وجبل نابلس وعدة بلاد مما حولها ويذكر إبن إياس أنه تسلم هذه الأماكن بأمان من غير حرب ولا مانع يمنعه مما لم يتفق لأحد من السلاطين من قبله. [4]

وفي 09 من كانون الثاني تقدم السلطان العثماني نحو صحراء النية سيناء وبدأ باجتياز الصحراء وتمكن السلطان سليم مع جيش كبير خلال13 يوما من 09 الى 22 كانون الثاني من تحقيق محاولة اجتياز صحراء النية ودخل مصر وتوجه نحو الجنوب الغربي واقترب من القاهرة بعد أن تسلم تقريرا مفصلا من قبل الصدر الأعظم سنان باشا حول النظام العسكري المملوكي. [5]

1-أوزتونا، مرجع سابق، ص228.

2-خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، تر محمد الأرنوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيوت لبنان،2002، ص55.

3-إبن إياس، المصدر السابق، ج5، ص62.

4-نفسه، ص152.

5-أوزتونا، مرجع سابق، ص226.

المطلب الثالث: الدخول إلى مصر

إن النصر الذي أحرزه العثمانيون في مرج دابق منحهم السيادة على الشام ووصلت أخبار الهزيمة إلى القاهرة في الرابع عشر من سبتمبر أيلول، أي بعد ثلاثة أسابيع من المعركة فاجتمع من بقي على قيد الحياة من قادة المماليك في القاهرة لينتخبوا سلطانا جديدا، واختاروا أن يولوا نائب قنصوه الأشرف طومان باي [1] خليفة له. [2]

كتب سليم رسالة إلى طومان باي من دمشق يعرض عليه أحد خيارين أن يستسلم ويحكم مصر بصفته تابعا للعثمانيين أو أن يقاوم ويواجه الهلاك. [3]

فلم يقبل بل استعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود فالتقت مقدمتا الجيشين عند حدود بلاد الشام وهزمت مقدمة المماليك [4] وبعد أن هزمت الحملة العسكرية التي أرسلها طومان باي بقيادة جان بردى الغزالي للدفاع عنها وقد أثرت هذه الأنباء على معنويات المماليك خاصة بعد ورود أنباء عن مذبحة قادها العثمانيون وقد كانت خطة طومان باي أن يتقدم للقاء الجيش العثماني قبل أن يصل إلى موارد المياه. [5]

1-طومان باي: الأشرف أبو النصر طومان باي، آخر السلاطين المماليك الشراكسة في مصر وهو الحادي والعشرين من السلاطين الشراكسة والسلطان الوحيد الذي شنق على باب زويلة بعد هزيمته في معركة الريدانية 1517 حكم من 25 رجب 922هـ إلى 21 ربيع الأول 923 هـ أنظر: التوجيني، المرجع السابق، ص27.

2-يوجين روجان، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر محمد الجندي، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر،2011،ص30.

3-نفسه، ص31.

4-محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،2012،ص193.

5-غربي، المرجع السابق، ص62.

استعد طومان باي وأبدى جهودا في تجهيز جيشه بشكل تام وقام بتحصين القاهرة، لأنه استفاد من تجربة مرج دابق فألغى التقليد الفروسي الذي يقضي بحظر الأسلحة النارية وزود عدادا كبيرا من جنده بلبنادق كما شكل صفا من مئة عربة تحمل مدافع خفيفة لمواجهة العثمانيين. [1]

غير أن جيش المماليك الذين لم يكونوا يحصلون على رواتبهم ويفتقرون للثقة بالنفس ولايمكن الإعتماد علبهم إلى حد كبير، واستقبل يوم المعركة بروز مجموعة من الرجال يحاربون من أجل النجاة بحياتهم لا من أجل إحراز النصر. [2]

التقى الطرفان في عام 1517 م في الريدانية [3] لكن نتيجة المعركة كانت لصالح الجيش العثماني وذلك أن العثمانيون هجموا على الجيش المصري من جهتين، فرقة جاءت تحت الجبل الأحمر والفرقة الأخرى جاءت للجنود المصريين عند الوطاق بالريدانية وقذفوهم بالبنادق والرصاص [4]

كان هجوم العثمانيين عنيفا فإنهزم جيش طومان باي وبقي معه قليل من الجند الرماة والمماليك فلما أدرك طومان باي ألا حيلة له في مواصلة القتال أسرع بالانسحاب من المعركة فهجم العثمانيون على الوطاق المصري واستولوا على جميع ما فيه من أقمشة وأسلحة وخيول وجمال وأبقار وعربات وغير ذلك. [5]

1-روجان، المصدر السابق، ص32.

2-أوزتونا، المرجع السابق، ص227.

3-الريدانية: منطقة بالصحراء الشرقية خارج القاهرة كانت مكانا لتجمعات الجنود انظر: عبد الجواد صابر، مرجع سابق، ص27. أنظر أيضا الملحق رقم 01 ص72.

4-جورجي زيدان، مصر العثمانيين، تح ودرا وتع محمد حرب، ط1، ذار الأفاق العربية، القاهرة مصر،2002، ص205.

5-محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر،2004،ص98،89.

لقد كانت المواجهة الحاسمة بين العثمانيين والمماليك في الريدانية حين لحقت بطومان باي هزيمة قاسية رغم أنه حارب بشجاعة وجرأة إلا أن في الواقع هزيمة المماليك في الريدانية جاءت نتيجة خيانة جان بردى الغزالي [1] الذي اتصل بشريكه في الخيانة خاير بك وأعلمه بخطة السلطان طومان باي. [2]

دخل العثمانيون القاهرة ومعهم الخليفة العباسي أمير المؤمنين المتوكل على الله وجماعة القضاة وأعلن سليم للناس الإطمئنان والبيع والشراء وخطب على منابر مصر والقاهرة بعد أن تم الأمر للسلطان العثماني وفتح القاهرة ولما خضعت مصر للعثمانيين عام1517 فإن حكمهم لم يكن إلا إمتدادا لأنظمة المماليك مع بعض التعديلات ثم أضافوا الطابع التركي على الحياة. [3]

وهذا ما سنوضحه في المطلب الموالي.

1-جان بردى الغزالي: جان بمعنى الروح وبردى بفتح الباء وسكون الراء بمعنى أعطى والغزالي نسبة إلى مدينة غزال في الشرقية بمصر وهو أول والي على إيالة دمشق في ضل الدولة العثمانية في فبراير1521 أنظر: محمد حرب، مرجع سابق، ص113.

2-إبن إياس، مصدر سابق، ج5،ص144.

3-السيد، مرجع سابق، ص89.

المطلب الرابع: السياسة العثمانية في البلاد العربية الشام ومصر

أولا: في الشام

في البداية حافظ العثمانيون على التقسيم الإداري المملوكي لبلاد الشام الذي قسمها إلى ست مقاطعات وأطلق على كل واحدة منها إسم نيابة وهي: نيابة الشام، نيابة حلب، نيابة طرابلس، نيابة حماة ونيابة الكرك كما ترك العثمانيون الحكم في سورية للأمير المملوكي جان بردى الغزالي [1]

وفي سنة 1517 اتخذ السلطان سليم الأول من دمشق عاصمة لإيالة [2] العرب إيالة الشام والتي ضمت تحت إدارتها كل المدن الواقعة في بلاد الشام تم تقسيمها إلى ستة عشر لواء هي: حمص، ملاطيه، عينتاب، بخنسي، بيرة جك، ديوريكي، طلب حماة، كختة كركر، سيس قلعة الروم، طرطوس، طرابلس، بايبورد، كماخ مع أرزنجان، فضلا عن لواء دمشق مركز الإيالة الذي كان يطلق عليه إسم سنجق [3] الوالي. [4]

إن تمرد جان بردى الغزالي والي إيالة الشام ضد الدولة العثمانية عام 1520 دفعها إلى إعادة النظر في شكل الخريطة الإدارية لتلك الإيالة وحدودها

1-عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914، ط1، دار المعارف، القاهرة مصر، د س ن، ص61.

2-إيالة: أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية تدار من قبل والي يمثل السلطان العثماني في كل الصلاحيات الإدارية والعسكرية عدا القضائية أنظر: سهيل صبان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص45.

3-السنجق: تعني الراية أو العلم وفي الإصطلاح كانت تطلق على أصغر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية مثل سنجق القدس أنظر: عباس صبان المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، مركز دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1994، ص120.

4-فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،2007، ص160.

الإداريـة الشاسـعة إذ قامـت بفصـل بعـض الألويـة التابعـة لهـا عـام 1522 وهـي ديوريكي، كختـه، كركر، كماخ نوبايود وقلعة الشام [1]

وألحقت بها ألوية جديدة مثل علجون والقدس وصفد وغزة مع الرملة وادنه وجيقور أباد وأنطاكيا سعيا منها لتقليص مساحتها الشاسعة إذا ما عرفنا أن الألوية التـي ألحقت بهـا عدا أنطاكيـة وأدنـه كانـت تابعـة لهـا بشـكل نـواحي ضـمن إحـدى الألوية ثم ارتقت إلـى مستوى ألوية بأمر من الدوان الهامايوني [2] وعين لكل منها أمير لواء[3]

فضـلا عن تعديلات أخرى أجرتها الدولـة العثمانيـة علـى الوحدات الإداريـة لإيالة الشام عام 1527 إذ عملت على دمج لواء القدس مع لواء غزة والرملة تحت إدارة لواء القدس وغزة وأضافت نابلس إلى لواء صفد تحت إدارة لواء نابلس وصفد فيما خفضت المستوى الإداري للواء أنطاكية إلى ناحية تتبع في إدارتها للواء حلب في الوقت الذي أضيفت إليها ألوية جديدة مثل دير الرحبة والأكراد وعزيز إيلي [4]

وفـي عهد السلطان مراد الثالث 1574-1595 قسمت بـلاد الشـام إداريـا بنـاءا علـى التقسيم الإداري الجديد للدولـة العثمانيـة باشـويات أو إيـالات وكـل ولايـة

1-نفسه، ص161.

2-الدوان الهامايوني: هو المرجع الرئيس الذي يتم فيه تباحث الأمور المهمة وربط هذه الأمور باقرارات تصدر باسم السلطان العثماني ويشبه عمله إلى درجة ما عمل مجلس الوزراء في الوقت الراهن فقد كان يعنى بالأمور السياسية والإدارية والعسكرية والمالية أنظر: فاضل بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة 1544-1566، ج1، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، 2005، ص89.

3-خليل ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إستانبول، 2000، ص83.

4-يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني، ط4، دار النهار للنشر، بيروت لبنان، 1991، ص15.

يتبعها عدد من السناجق وهي باشوية الشام أو دمشق، باشوية حلب وباشوية طرابلس. [1]

أما من الناحية الاقتصادية فقد واجهت الدولة في معاملتها مع موظفيها إشكالا يتمثل في الشكاوى التي تصلها حول حصول عمليات التعدي على المال الميري مال الدولة وأموال الأوقاف وبعض الغموض في عملية تحصيل الجباية والإستلاء على أملاك الرعايا بطرق غير الشرعية بغض النظر عن بعض الرسوم الغير القانونية [2]

وفي حكم موجه إلى عريشان حسن جلبي وإلى قاضي حلب المؤرخ في 17 محرم 952هـ/ 31 مارس 1545 قدم عريضة إلى الديوان الهمايوني وأورد فيها أن الباقي الذي سجلوه في ذمم أهل الذمة [3] هو شيء قليل إبتلعوا أكثره وكتموه والرعايا لا يدرون أن الباقي الذي قيدوه أنه في ذممهم ولا يعرفون أن دينهم يفوق خمسمائة أو ستمائة ألف أقجة [4] وأنهم لو كانوا يدرون مقداره على الحقيقة لتركوا ديارهم وذهبوا مع عيالهم للشكوى على أبواب الدولة [5]

1-عوض، المرجع السابق، ص63.

2-عبد الكريم رافق، المشرق العربي في العهد العثماني، ط2، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1999،ص56.

3-أهل الذمة: يعود مفهوم أهل الذمة إلى عصر الدولة الإسلامية الأولى حيث كانت تفرض على غير المسلمين المقيمين في الدولة التي يدخلها المسلمون إما الخروج من أراضي الدولة الإسلامية وإما الإقامة فيها على أساس من التفاهم والإتفاق حيث يتم التعهد بالخضوع للقوانين الإسلامية من حيث الأساس ودفع ضريبة الرأس التي تعرف بالجزية في مقابل إعفائه من الخضوع للتجنيد وتؤمن له الدولة سلامته وتحمي أملاكه وأمواله وتسمح له بممارسة شعائره الدينية. أنظر: سعيد أحمد عبد الرحمان وآخرون، تاريخ الأقليات في المشرق العربي من أهل الذمة إلى نظام الملة، ط1، دار الفارابي، بيروت لبنان، 2016، ص33.

4-أقجة: معناها الضارب أو الضاربة إلى البياض وهي نقد صغير عثماني تساوي ثلث بارة. أنظر: قاسم طارق أحمد، وثائق تنشر لأول مره في تاريخ إقليم الخروب، مكتبة الملك فهد، 2007، ص80.

5-بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية...، المرجع السابق، ص105.

وفي عريضة أخرى موجهة إلى السلطان سليمان القانوني [1] حدوث تلاعب في مداخيل جيول حلب ويذكر أيضا في الدوان الهمايوني أنهم يلحقون الظلم بالمسلمين والإعتداء والإفتراء وأخذ أموال الملتزمين عن طريق القاضي أو الرشوة وأغرق جميعهم بالديون [2]

ولم يقتصر اهتمام الدولة بالقضايا الاقتصادية فقط على إجراء تحريات على إدارتها المالية بل أولت اهتماما بالجانب المعاملات التجارية بالأخص مع الأجانب من الأحكام السلطانية ومدى حرص الدولة على السماح لتجار الدولة التي تربطها معها علاقة صداقة لكنها في نفس الوقت تطالب مواطنيها باستمرار مراقبة هؤلاء التجار [3]

وأثناء تواجد السلطان سليم بمصر 1517 استقبل وفدا من البندقية وقام بتحديد معاهدات وامتيازات وتم توطيد العلاقات أكثر في عهد السلطان سليمان القانوني وفي حكم موجه إلى بكلرباي [4] الشام المؤرخ في محرم952هـ/15 مارس 1545 يذكر بأن يسمح لتجار البندقية بالتردد على الشام بغرض ممارسة النشاط

1-السلطان سلمان القانوني: (1520-1566م) هو ابن السلطان سليم الأول فاتح سوريا ومصر وفي عهده وصلت الدولة إلى أوجها وامتدت من بودابست على نهر الدانوب إلى تلال النيل الأول وكانت إلى ذلك أطول الدول الإسلامية عمرا للمزيد أنظر: عزتلو بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2011، ص66.

2-بيات، المرجع السابق، ص106.

3-فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تر كمال اليازجي، مرا جبرائيل جبور، ج2، دار الثقافة، بيروت لبنان،1963، ص365.

4-بكلرباي: أمير الأمراء والرتبة الثانية من رتب الباشوية وتلفظ بيلرباي لأن الكاف الفارسية تقرأ ياء. أنظر: محمد عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، "مجلة دراسات تاريخية"، العدد118، حزيران2012، ص381.

التجاري وفق عهد نامه [1] وفي نفس الوقت يطالب بتوخي الحذر من حيلهم وتشديد الرقابة على دخل إيالة الشام وحراسة أرجاء القدس [2]

كما نلاحظ اهتمام الدولة العثمانية بتسيير قافلة الحج الشامي التي كانت من أكبر قوافل الحج في العالم في ذلك الوقت حيث حظيت بعناية فائقة من قبل العثمانيين بحيث كانت تنطلق سنويا باتجاه الحرمين الشرفين وذلك للمكانة المرموقة التي حضي بها السلطان العثماني بعد حمله للقب خادم الحرمين الشريفين فأصبح من أولوياته خدمة الحجاج وتسييرهم إلى غاية وصولهم إلى مكة المكرمة [3]

لذلك اتبعت الدولة العثمانية سياسة الاسترضاء لزعماء وأمراء العشائر البدوية بإغرائهم بتولية مناصب عليا ورفيعة علاوة على ذلك تمكنت من جباية الضرائب في المناطق التي تخضع لسلطة هؤلاء فقد عملت على تنظيمهم بإدراجهم تحت زعامة أمير يتم تعيينه من الحكومة المركزية في إستانبول وفقا لأسلوب إمارة العشيرة التي استخدمته الدولة العثمانية في إدارة الكثير مناطق بلاد الشام، فضلا عن أنها اقرت بسلطة شيوخ بعض العشائر البدوية في مناطقهم على أن يكونوا تابعين لسلطتها فقد كسبت بعض العشائر بمنح شيوخهم إدارة عدد من السناجق وفقا لنظام الأوجاقلق [4] ففي عام 1549هـ منحت عشيرة طرة باي البدوية إدارة أحد

1-نامه: التشريع الذي وضعه سليمان القانوني محاولا وضع حل للمساوئ السابقة. أنظر: عامر، نفسه، ص376.

2-فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، م1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون، إستانبول، 2010، ص272.

3-بومدين زوبيري، الإدارة العثمانية لبلاد الشام في القرنين 16و17 من خلال دفاتر المهمات، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة المدية، 2012.2013،ص130.

4-الأوجاقلق: الأراضي الممنوحة لبعض الأمراء على سبيل سنجق مقابل طاعتهم ودخولهم في الخدمة وقت الفتح ولكل أمير منهم علم خاص به ولاجوز عزلهم ما داموا في خدمة الدولة وسناجقهم لا تخلو من الزعامات

ألوية ايالة الشام الذي حمل اسم تلك العشيرة لواء إقطاع طرة باي وفقا لنظام الأوجاقلق [1]

حيث كان إسكان العشائر وتكريم شيوخها أحد الأساليب التي اتبعتها الدولة العثمانية لإخضاع بعض العشائر والحصول على مساعدتها ودعمها في اخضاع العشائر البدوية الأخرى الخارجة عن سلطتها، فضلا عن انها عملت على احياء العديد من القرى التي كانت خربة دون زراعة من خلال إسكان بعض العشائر ففي نهاية علم 1559م اسكنت قرية حسياء التابعة حلب العديد الاسر واعفتهم من الرسوم العرفية مقابل العمل على زراعة تلك الأرض والعمل على اعمارها [2]

كما اسكنت في قرية صلدع الواقعة في ناحية سمعان التابعة للواء حلب العديد من الاسر الفلاحية عام 1565م من اجل زراعة تلك القرية التي تحولت الى مأوى للصوص وقطاع الطرق لا سيما وان تلك القرية تقع على طريق الحج. [3]

ثانيا: في مصر

لقد احتفظت مصر منذ دخول الإسلام إليها وانتشاره في أرجائها بمكانتها الهامة في العالم الإسلامي كواحدة من المراكز الحضارية فيه إثر ضم مصر للإدارة العثمانية، أسست فيها إيالة من أهم الإيالات في الدولة، بل أهمها على الإطلاق في الشرق الإسلامي، فكانت مصر كإيالة عثمانية على علاقة مستمرة وصلة

والتيمارات وهي عرضة للتحرير إذ تحصى قراهم ومزارعهم وتقدر محاصيلها. أنظر: اوغلي، المصدر السابق، ص693.

1-بيات، البلاد العربية ...، المرجع السابق، ص215.

2-عماد كريم عباس الراوي، سياسة الدولة العثمانية تجاه العشائر في إيالة الشام 1516،1566،"مجلة العلوم الإنسانية، ع 26، 2019، ص 06.

3-نفسه، ص07.

لانقطع بمركز الدولة في إستانبول، استمرت أيضا علاقتها بولايات الشرق الإسلامي كما كانت من قبل حيث كان لأمير أمرائها [1] صلاحيات واسعة في المنطقة لتثبيت أقدام الإدارة العثمانية الجديدة هناك [2]

وعموما فقد كانت مصر تحت الإدارة العثمانية ذات مميزات فريدة تأتي على رأس هذه المميزات أنها أول إيالة يطبق فيها نظام السليانة [3] في التقسيم الإداري العثماني حيث كانت الدولة العثمانية اعتبارا من مطلع القرن 10هـ/16م قد بدأت في الاعتماد على القوات العسكرية النظامية والمجهزة بالأسلحة النارية حيث بدأت فرق "سباهية [4]التيمار" المرتبطة بالأسلحة والفنون الحربية القديمة تفقد أهميتها في تشكيل الدولة الإداري والعسكري تدريجيا وبالتالي كان على الإدارة العثمانية أن تضع نظاما محكما لإدارة الولايات الشرقية التي فتحت حديثا والبعيدة

1-أمير الأمراء: هو المسؤول عن احدى أهم المؤسسات الإدارية المحلية في الدولة العثمانية وصاحب الصلاحيات الواسعة في المناطق التي كانت خاضعة لحكم المماليك من قبل والمفوض في رعاية أمور الحرمين الشريفين باسم السلطان وحامي حدود الدولة الجنوبية وراعي مصالحها المحلية والدولية في المنطقة وهو في كل هذا وكيل السلطان المطلق. أنظر: سيد محمد السيد، مصر في العصر العثماني، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر، ص166.

2-نفسه، ص72.

3-السالیانة: مصطلح إداري مالي عثماني جاء أصله فارسي ويعني المرتب السنوي للموظفين في تلك الولاية يتقاضون رواتبهم من الدولة وقد طبق نظام السالیانة في عدد من الولايات العربية منها حلب، البصرة، مصر، اليمن. أنظر: فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، 2003، ص114.

4-سباهية: الخيالة والفرسان في الجيش العثماني واصطلح على استخدامه للدلالة على الخيالة صاحب الأرض الميري الذي يشترك في الحرب مع افراد من الذين كلفوا بإحضارهم. أنظر: إبراهيم الكيلاني، مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبي والمملوكي والعثماني، "مجلة التراث العربي"، العدد49، اكتوبر1992، ص49.

عن المركز غير نظام التيمار[1] العسكري الذي كان مطبقا في جميع ولايات الدولة حتى ذلك الوقت رغبة منها في القضاء على نفوذ المماليك في مصر وبخاصة إذا علمنا أن هؤلاء المماليك كانوا يملكون أراضي شاسعة من أراضي مصر ومقاطعاتها [2]

وهكذا بدأت إدارة مصر العثمانية في ضم أراضي إيالة مصر التي مات عنها أصحابها من المماليك أو قتلوا أو فروا هنا وهناك واعطائها للورثة الشرعيين وإلا فالأشخاص أمناء عن طريق الإلتزام [3]

حيث كانت الدولة العثمانية قد قامت بتعيين أمراء الأمراء على ولاياتها المختلفة عن طريق التيمار ونظامه حيث كتنت تعتبر ولايات تلك المقاطعة خاص[4] تمنح لأمير الأمراء مقابل إدارة الولاية وإعداد جنده وتجهيزهم وخروجهم تحت قيادته وقت الحرب فقد بدأت الإدارة العثمانية في التعامل مع إيالة مصر بطريقة مختلفة حيث ضمت أراضي الإيالة للدولة وخصصت لأمير الأمراء مرتب سنوي عرق باسم "ساليانة " كما منعت الإدارة العثمانية بقايا المماليك من إتخاذ

1-التيمار: كل أرض تمنح لشخص أو أكثر مشتركا بشروط خاصة مقابل وضيفة معينة وتقل وارداتها السنوية عن عشرين ألف أقجة وكان يسمى في الفترة التي سبقت الحكم العثماني بنظام الإقطاع وقد انقسمت الأراضي الإقطاعية في الدولة العثمانية إلى ثلاثة تيمار وزعامات وخاص وقد جرى إلغاء نظام التيمار رسميا في عام 1831وغن كان قد تلاشى في الواقع قبل ذلك. أنظر: صابان، المعجم الموسوعي ...، المرجع السابق، ص191.

2-ابن إياس، المصدر السابق، ص374.

3-الإلتزام: نظام يقضي بتقديم دخل مالي من المتعهدين للحكومة ثم يجمعه هو كما يشاء وتسانده قوة حكومية لجمعه وقد مارس الملتزمون الظلم حيث طبق في عهد السلطان أحمد الأول 1603وألغي في عهد السلطان عبد المجيد سنة 1852.أنظر: محمد عامر، المرجع السابق، ص 363.

4-خاص: مصطلح أطلق على الواردات التي تتجاوز 100 ألف أقجة وكان خاص بالأمراء الأمراء وامراء السناجق والوزراء والسلاطين والنساء التابعات لسلاطين واستخدم بشكل خاص على الأراضي الميرية التي تتجاوز وارداتها 100ألف أقجة سنويا. أنظر: صبان، المعجم الموسوعي ...، المرجع السابق، ص94.

أراضي الأيالة كمقاطعات مملوكة لهم واعادتها للدولة ثم منحها لهم أو لغيرهم عن طريق الإلتزام [1]

لم تعطى هذه الأراضي أيضا لأمراء السناجق ولا لكشاف الولايات كأراضي تيمار أو زعامة [2] مقابل خدماتهم كما كان يحدث من قبل وانما كانت تدفع ساليلنات مرتبات سنوية من حصيلة خراج النواخي الموجودة تحت اشرافهم حيث كانت ترد المبالغ المتبقية إلى خزينة الدولة في ايالة مصر.[3]

وبذلك كان أمير أمراء مصر بعد حصوله على سليانته وتوزيعه السليانات مرتبات الأمراء السنوية والعلوفات مرتبات الجند الدورية على الأمراء والجند في وقتها وتوفير كافة احتياجات الايالة الميرية وأدائه لمصاريف الحرمين الشريفين داخل الأيالة كان يرسل ما تبقى إلى الأستانة فيما يعرف باسم الخزينة الإرسالية [4]

وهكذا استحدثت بمصر جماعة عسكرية عرفت باسم" توفنكجى سوارى" الفرسان المدججين بالبنادق لتقوم مقام قوات سباهية التيمار في ولايات الدولة الأخرى من بقايا المماليك حيث كانت كل هذه الجماعات يحصل جنودها على علوفات دورية مقابل خدماتها في الإيالة [5]

1-ابن إياس، المصدر السابق، ص375.

2-زعامة: أرض زراعية تقطع للمحاربين والتي تقل وارداتها عن مئة ألف أقجة. أنظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة مصر،2003، ص66.

3-كمال حامد مغيث، مصر في العصر العثماني 1517-1594، تق رؤوف عباس، ط1، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة مصر، 1994، ص95.

4-نفسه، ص100.

5-ليلى عبد اللطيف أحمد، الإدارة في مصر في العهد العثماني، ط1، جامعة عين الشمس، القاهرة،1978، ص248.

ومهما يكن الأمر فلم يبدأ تطبيق نظام السليانة الذي ارتبط بنظام الإلتزام السنوي لم يبدأ تطبيقه في مصر إلا في زمن الوزير مصطفى باشا أمير أمراء مصر العثماني[1]

ففي عهد سلفه المملوكي خاير بك لم يعين لأمير الأمراء مرتب سنوي ساليانه وإنما كانت هذه السليانات والعلوفات توزع فقط على الأمراء والجند العثماني ولم تكن قد أخذت شكل نظام متكامل في الإيالة بعد فكان خاير بك بعد أن يقوم بتسديد مصروفات إحتياجات الإيالة والحرمين الشريفين ومركز الدولة والجند والهدايا السنوية التي كانت ترسل للسلطان ولأعضاء هيئة الدوان كان يحتفظ بما تبقى من دخل الإيالة له مقابل خدماته في إدارة البلاد ولم يطرأ على هذا النظام أي تغيير حتى وفاة خاير بك عام 928هـ [2]

ويعتبر الوزير الثاني مصطفى باشا 928-929هـ هو أول أمير أمراء عثماني يعين على إمارة أمراء مصر بمرتب سنويساليانة وقد قام هذا الوزير بجهد عظيم لترسيخ هذا النظام في الأيالة خلال فترة ولايته وعلى الرغم من ضم هذا الوزير لكثير من أراضي المماليك عقب حركات العصيان التي قاموا بها في عهده ومنحها لبعض الأشخاص الأمناء عن طريق الإلتزام وبموجب براءة إلا أن هذا النظام لم تتضح معالمه بشكل قاطع حتى وصول الوزير الأعظم [3]إبراهيم باشا إلى

1-مغيث، المرجع السابق، ص96.

2-السيد، المرجع السابق، ص74.

3-الوزير الأعظم: رئيس الحكومة في الدولة العثمانية وهو أعلى منصب تحت السلطان مع السلطة المطلقة له وهو الذي يحمل ختم السلطنة وسلطة تعيينه وعزله حق للسلطان فقط. انظر: المصري، المرجع السابق، ص72.

مصرو إجراءه الكثير من الإصلاحات التي مهدت لتطبيق هذا النظام في مختلف مؤسسات الإيالة [1]

لمن يكن نظام السالیانة فقط ما تميزت به إيالة مصرو إنما كانت هناك خصائص أخرى لهذه الإيالة ميزتها عن باقية ولايات الدولة في المنطقة فقد كان يعين عليها فئة من ذوي الخبرة من إداري الساري العثماني أو أمراء الأمراء السابقين الذين سبق لهم العمل في المنطقة وحتى الوزراء أيضا [2]

وكان أمير أمراء مصر ذا صلاحيات واسعة في المنطقة حيث كان يقوم بتطبيق سياسة الدولة في ولاياتها الشرقية ولذا لم يشترك بنفسه في حمالات الدولة كعادة أمراء الأمراء نظرا لما كان يتحمله من مسؤوليات كبيرة للدولة في المنطقة.[3]

لقد اتبعت الدولة العثمانية في إدارة البلاد الإسلامية التي دخلت حديثا تحت إدارتها ساسة الإبقاء على أنظمة الإدارة السابقة في تلك الأقطار بعد إصلاحها واجراء التعديلات اللازمة عليها لدمجها في التشكيل الإداري العام للدولة تدريجا [4]

فعندما ورث العثمانيون أملاك الدولة المملوكية ومركزها في مصر ورثوا دولة ذات نظم ومؤسسات إدارية ومالية خاصة بها استقرت وتطورت تبعا لتاريخها الطويل مما جعل السلطان سليم الأول يواجه صعوبة كبرى في الإحاطة علما بطبيعة عمل هذه المؤسسات في تلك الفترة القصيرة التي قضاها في مصر وبالتالي

1-السيد، المرجع السابق، ص75.

2-أحمد، المرجع السابق، ص250.

3-نفسه، ص251.

4-السيد، المرجع السابق، ص152.

كان من العسير على الإدارة العثمانية إحداث تغييرات مباشرة في نظم تلك المؤسسات. [1]

لذلك ققر العثمانيون إبقاء النظم المملوكية التي كانت مستقرة في البلاد على أن تعدل تدريجيا حسب مجريات الأحداث فيما بعد وذلك مع ربط ايالة مصر بالتشكيلات الأساسية في مركز الدولة العثمانية والأمر الذي يسر للإدارة العثمانية هذا الإجراء هو تشابه التشكيلات الإسلامية في الشرق وتأثير بعضها ببعض في العديد من جوانبها. [2]

1-أحمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة مصر، 1976، ص318.

2-نفسه، ص319.

المبحث الثاني : العلماء وعلاقتهم بالسلطة

مطلب الأول : تصنيفاتهم

مطلب الثاني: وظائفهم

مطلب الثالث :علاقتهم بالسلطة

تمهيد

ظهرت في هدة الفترة من تاريخ مصر والشام العديد من المؤلفات والترجمات في مختلف مجالات العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والعلمية ،ولقد سار الإنتاج الذكرى على نمط التقليدي الذي كان في العهد المملوكي ولذلك فإن المستوى العام للفكر بمصر والشام خلال العهد العثماني لا يختلف في سماته عن العهد السابق حيث نلاحظ ان الغالب علي الإنتاج الفكري في هدة الفترة وكان في العلوم النقلية بحكم طابع الديني السائد ولكون الوظائف كانت دينية فكان الرصيد الفكري الأكبر يمس هدة العلوم.

المطلب الأول: تصنيفات العلماء

تتصرف كلمة العلماء إلى مجموعة واسعة من الأشخاص تربط بينهم صلة الدراسات العلمية والذين تولوا مناصب دينية أو قضائية أو إدارية وقد شكلت مجموعة هؤلاء الأشخاص منذ بداية عهد المماليك حتى نهايته هيئة موسعة تتسم بنوع من الوحدة تحوزها الملامح الواضحة. [1]

فالعلم الديني الذي يشمل الفقه والحديث والتفسير واللغة وغير ذلك من الفروع كان متيسرا لجميع فئات المجتمع بما في ذلك المنحدرون من بيئة المماليك فكان المحدثون عادة من فئة التجار الذين يسافرون من إقليم إلى آخر ويطلبون سماع الحديث ويتابعون روايته دون أن يفصلوا من أعمالهم الخاصة فاسفر طالبا الحديث يلائم أعمال التجارة وسلك طرقها البعيدة [2]

أما الوعاظ والفقهاء فهم من بيئة التجار والحرفيون وكان ثمة نساء متفقهات حيث سادت رواية الحديث في أواسطهن حتى أواخر القرن السادس عشر [3] كذلك فإن أرباب الطرق الصوفية كانوا عادة على صلة وثيقة با الأواسط الحرفية ويصعب أن نضع حدودا بين البيئة المدنية الواسعة والبيئة العلمية، فكانت مناصب القضاة متيسرة لتجار أو حرفيين مشهود لهم بالعلم. [4]

1-ايرا مارفين لابيدوس، مدن الشام في العصر المملوكي، تر سهيل زكار، دار حسان، دمشق سوريا ،1985، ص175.

2- نفسه، ص176 .

3-يخصص السخاوي الجزء الأخير من الضوء الامع لأعلام النساء حيث بإمكاننا ملاحظة سماع الحديث وروايته أواسطهن أنظر أيضا الغزي الكواكب السائرة الجزءالاول.

4-لابيدوس، المرجع السابق، ص178.

ويمكن أن نرصد ضمن هذه المجموعة الواسعة اتجاهين كبيرين: العلماء الذين يتبعون علوم الشريعة والصوفية الذين ينتمون إلى علم الحقيقة حسب التعبير الذي يستخدمونه بأنفسهم، وتبدو نشأة التصوف في الأساس وكأنها نقيض للدراسات الشرعية إلا أن رجال التصوف إندمجوا في البيئة الواسعة للعلماء وكسبوا إلى جانبهم العلماء والفقهاء [1] ولم يكن ثمة ما يمنع ان يكون فقيها ومتصوفا في الوقت ذاته لذلك اتحد المتصوفة في عالم العلماء الديني والاجتماعي وشاركوا في حياة المدن السياسية وأخذت الصوفية أشكلا تنظيمية فتوزع رجالها في طرق أو أخويات تدين كل واحدة منها بالولاء لمؤسسها وانتشرت هذه الطرق في صفوف العامة ففازت بأتباع عديدين كما إنتسب إليها بعض العلماء والفقهاء أيضا وقد حضي رؤساء الطرق بإعتراف شبه رسمي ومن خلال إبن إياس نلاحظ أن مشايخ الطرق مثل القادرية وحليفة السيد أحمد البدوي أي شيخ الطريقة البدوية كانوا إلى جانب القضاة جزءا من هيئة المراسم السلطانية .[2]

إلا أن المحدثين كانوا أقل قبولا للمتصوفة وتأويلاتهم العقائدية وسلوكهم اليومي وليست هذه نقطة الإختلاف بين الفقهاء والمحدثين فالفقهاء من جهتهم كانوا ينكرون على المتصوفة ابتعادهم عن تطبيق أوامر الشريعة أيضا فلقد كان الفقهاء والمحدثين يمثلون الاتجاهيين الواسعيين للدراسات الشرعية والدينية تبعا لنوع الإختصاص الذي يمنح الرجل صفة العلم الذي يبرع فيه أو يغلب عليه ويصعب أن نجعل من الحديث والفقه إتجاهين متعارضين بسبب التبادل بين الميدانين [3]

1-أغناس غولدتسيهر، العقيدة والشرعة في الإسلام، دط، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر،1996، ص176.

2-إبن إياس، مصدر سابق، ج5، ص43.

3-خالد زيادة، الكاتب والسلطان من الفقيه إلى المثقف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة مصر،2013،ص60.

إلا أن التطور الخاص بكل ميدان على حده يتيح المجال لبروز التباين فقد نزع أهل الحديث إلى الإصلاح إنطلاقا من تقيدهم با السلف وسنته بينما نزع الفقهاء إلى مسايرة الأمر الواقع والاستجابة لمتطلباته ومما يزيد الأمور تشابكا بروز مدرسة فقهية تعكس وجهة نظر أهل الحديث هي المدرسة الحنبلية التي إلتزمت بتراث مؤسسها أحمد بن حنبل الذي صار رمزا سلفيا وإصلاحيا على مر أجيال.[1]

ومنذ القرن الثاني هجري أخذت المدارس الفقهية بالتشكل واعترفت السنة في وقت متأخر بأربع مدارس أو مذاهب فقهية انتشرت في أقاليم العالم الإسلامي وهي: المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية وقد اتفق أنه لابد للمسلم أن يتبع واحد من هذه المذاهب حتى وإن لم يكن متفقها في أمور الدين مما يشير إلى مدى تأثير الفقه في حياة المؤمن اليومية وبفضل إصلاح الضاهر بيبرس الذي قضى بأن يكون هناك قضاة على عدد هذه المذاهب فإن المدارس الفقهية صارت مؤسسات تتقاسم جمهور السنة فقد ساهمت المدارس مجتمعة في توحيد جمهور الأمة.[2]

في حين يصنف السبكي الذي شغل منصب قاضي القضاة الشافعي العلماء حسب وظائفهم العلمية والدينية ويذكر منهم المفتي، المدرس، المعيد، قارئ العشر، المنشد، كاتب الغيبة، القراء، خازن الكتب، الخطيب، الواعظ، قارئ الكرسي، الإمام...

1-نفسه، ص61.

[2]-نفسه، ص62.

حيث يرى أن العلماء فرق كثيرة منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والمتكلم والنحوي وغيرهم وكل فرقة من هؤلاء تتشعب شعوبا وقبائل إلا أن الجميع يتفقون على إرشاد المتعلمين وإفتاء المستفتيين ونصح الطالبين. [1]

المطلب الثاني: أهم الوظائف التي تقلدوها

قامت الدولة العثمانية بتنظيم العلماء على شكل سلسلة من المراتب بدرجات معينة معلومة وبوظائف رسمية لها مرتبات تجري عليهم بانتظام، وكان رؤساء هذه المراتب الدينية وهم شيوخ الإسلام وكبار شيوخ القضاة والإفتاء يستشارون في شؤون الدولة العليا وكان القضاة غي الأقاليم السبيل الأكبر الذي كان يجري عن طريقه الإتصال والترابط بين الحكومة المركزية والرأي العام لمسلمي المدن الكبرى.[2]

ويمكن تلخيص أهم الوظائف التي تقلدها العلماء في العصر العثماني في المجموعة التالية:

بعض وظائف في إدارة الدولة العليا، وظائف القضاة والشهادة، وظائف التدريس، الوظائف الدينية كالإمامة والوعظ، وظائف التحدث والنظر، وظائف الميقات، وظائف الطب، وظائف المكتبات، وظائف المشيخات، وظائف الطلب، وظائف في خدمة المجتمع...[3]

1-تاج الدين السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة، بيروت لبنان،1989،ص67.

2-ألبرت الحوراني، الأسس العثمانية للشرق الأوسط الحديث، "مجلة تاريخ العرب والعالم"، العدد14، السنة الثانية، ديسمبر 1979،ص10.

3-عبد الجواد صابر إسماعيل، مجتمع علماء الأزهر إبان الحكم العثماني 1517-1797م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة مصر،2016، ص265.

وتشتمل وظائف مؤسسات الأوقاف ل على وظائف التدريس والوظائف الدينية ووظائف إدارة هذه المؤسسات وقد كان لكل وظيفة في هذه الوظائف مرتبات أو عينة حسب ما نصت عليه تنظيماتها وقوانينها المسجلة في الوثائق والسجلات[1]

ومن أمثلة هذه الوظائف نذكر:

-**الفقيه:** حيث تقوم وضيفة الفقيه على تطبيق الشريعة وتسيير شؤون المؤمن اليومية من عبادات ومعاملات وحل المشكلات وكذا الإفتاء في القضايا المعقدة حيث إرتبط الفقه بالإفتاء فلقد تمتع المجتمع بحرية التمذهب فمنهم من كان يتخذ مذهبا ويطلع على المذاهب الأخرى مثل محمد بن بدر الدين بن جلبان البعلي الدمشقي الصالحي1089هـ/1672م الذي كان فقيها حنبليا ومع ذلك يدرس المذاهب الأربعة. [2]

كما كان العالم والفقيه إبراهيم بن مسلم القادري الدمشقي 1662م شافعي المذهب ولكن أبنائه كانوا على المذاهب الأربعة، فمسلم كان مالكيا وعبد الله حنبليا وموسى شافعيا ومحمد حنفيا. [3]

ولم يكن تغيير المذهب أمرا يسيء لصاحبه ولم تفرض الدولة العثمانية المذهب الحنفي قسرا على الناس بل هناك أمثلة عديدة لعلماء غيروا مذهبهم واعتقدوا منذ البداية مذهبا غير مذهب أسرتهم وكان غالبية من غيروا مذهبهم

1-نفسه، ص266.

2-محمد الأمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الثامن عشر، ج3، دار الصادر، بيروت لبنان، د س ن، ص401.

3-نفسه، ص402.

اتجهوا نحو المذهب الحنفي رغبة في المناصب ذلك أن العثمانيون آثروا الأحناف للوظائف القضائية والوظائف الدينية الأخرى. [1]

ومن أمثلة فقهاء هذا العصر نذكر الفقيه أبو بكر عبد الله قاضي عجلون 928هـ/1521م الذي درس بالجامع الأموي ودخل إلى القاهرة وكانت له دروس حافلة بها وألف كتابا سماه " أعلام التنبيه مما زاد على المناهج من الحاوي والبهجة والتنبيه " والذي كان مرجعا هاما في الفقه وشرحه محمد بن أبي الوقا بن الموقع المصري الحلبي 973هـ/1565م. [2]

-**القاضي:** ومن أجلاء طبقة العلماء القضاة، فرتبة القضاة قد جعل الله إليها منتهى القضايا وإنتهاء التظلمات والشكايا ولايكون صاحبها إلا من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فالقاضي متولي الأحكام الشرعية لهذه الرتبة كما ورث عن النبي صل الله عليه وسلم ورث عنه بهذه الوظيفة الشريفة حكمه. [3]

فافي الفترة المملوكية حاز القضاة على النفوذ الأوسع فكانوا المسؤولين عن المدارس الفقهية والمشرفين على تعيينات الموظفين الحكوميين والدينيين فضلا عن إمساكهم السلطة الشرعية ولقد عمدت الدولة العثمانية إلى توحيد أجهزة القضاء

1-فتيحة علوش، الحياة الفكرية في مصر والشام خلال الفترة العثمانية من الربع الأول من القرن 16م/10هـ إلى منتصف القرن 19م /13هـ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر ،2014/2013م، ص250.

2-نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح خليل المنصور، ج1 ،ط1، دار الكتب العلمية، بيوت لبنان، 1997، ص114.

3-رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة، تح محمد عمارة، ج1، م1، دار الشروق، بيروت لبنان،2010، ص682.

عبر ربطها بالعاصمة إسطنبول حيث أبطل العثمانيون العمل بنظام القضاء على المذاهب الأربعة. [1]

فلقد أدخل السلطان سليم أثناء دخوله دمشق بضعة تنظيمات وإصلاحات خاصة بالقضاء والعلماء والشؤن المالية وجعل لقاضي القضاة الحنفي دورا رئيسيا في تثبيت القضاة والقائمين على الشؤن الدينية. [2]

أما هيئة القضاء في مصر فلم تشهد تغييرا إلا بوصول السلطان سليمان إلى الحكم وتعيينه لقضاة أتراك بمصر حيث أصبح قضاء مصر عثماني الرئاسة والإدارة والنظم وذلك بوصول أعظم قضاة السلطان سليمان وأكبرهم وهو قاضي القضاة سيد جلبي حاملا كتابا من السلطان العثماني تضمن عدد من الأوامر السلطانية لتنظيم القضاء المصري بما يتفق والسياسة العثمانية. [3]

اكتفينا بذكر هاتين الوظيفتين على سبيل المثال لا الحصر وكانت معظم الوظائف تعين من قبل القاضي ويتقاضون رواتبهم من الأوقاف غير أنهم لم يشكلوا جهازا حكوميا ملحقا بالإدارة المركزية لأن الإسلام نفسه لا يدعوا لقيام مثل هذا الجهاز المستقل عن المجتمع بل على العكس فإن مفهوم العلم والعلماء في الإسلام يستتبع انفتاحا كليا على الجماعة والأمة وبالتالي على المجتمع حيث ينتظم العالم

1-نيقولاي زيادة، الفتح العثماني لبلاد الشام وأثاره المباشرة، " مجلة الإجتهاد «، العدد44، دار الإجتهاد للأبحاث والترجمة، بيوت لبنان، 1999،ص15.

2-نفسه، ص16.

3-صابر إسماعيل، مرجع سابق، 457.

الفقيه في الجماعة كجزء عضوي فيها وحيث يقدم العلم للآخرين كواجب من واجبات المسلم.[1]

فقد كانوا يمارسون إلى جانب وظائفهم الرسمية أعملا أخرى خاصة في مجال الحرف ويرجع ذلك إلى أن الرواتب التي كانوا يتقاضونها لم تكن كافية في كثير من الأحيان. [2]

ورغم أن العلماء كانت لهم نظرة متدنية إلى حد ما لأصحاب الحرف مقارنة مع نظرتهم لأرباب العلم إلا أن هنالك العديد من العلماء الذين جمعوا بين الحرفة والعلم والأدب مثل محمد السيروجي الدمشقيت1088هـ/1677م الذي كان يصنع السروج ويبيعها ويطلب العلم أيضا. [3]

أما في مصر فكان عبد الرحمان بن شحادة المعروف باليمني الشافعي المصري 1055هـ/1677م شيخا في القرارات واشتغل بالتجارة أيضا وكان يكرم الطلبة [4]

وفي المقابل كان هناك من العلماء من ترفع عن تلك المناصب، فقد عرض على محمد أحمد بن حسن الخالدي 1215هـ/1800م الإقراء في الأزهر والمشهد الحسيني بعد وفاة أخيه الأكبر الشيخ أحمد إلا أنه رفض وفضل البقاء في

1-خالد زيادة، الصورة التقليدية للمجتمع المدني: قراءة منهجية في سجلات محكمة طرابلس الشرعية في القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، الجامعة اللبنانية، طرابلس لبنان،1983، ص86،85.

2-وجيه الكوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولايات العثمانية في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،1982،ص44.

3-المحبي، مصدر سابق ، ص202.

4-محمدخليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج1، مكتبة المثني، بغداد العراق، د ت ن، ص358.

إملاء الدروس بالأشرفية ثم أنه رفض منصب مشيخة الجامع الأزهر لما عرضوها عليه بعد موت الدمنهوري وأشار عليهم من يتولاها عوضا عنه. [1]

المطلب الثالث: علاقتهم بالسلطة

لقد حرصت طبقة العلماء منذ العصور الإسلامية على أن تتركز السلطة الدينية والزمنية في يدها ولاكن التطورات التي عرفتها الدولة الإسلامية أدت أن اختصت الحكومة بمهام مغايرة لإختصاص المؤسسة الدينية مع بقاء التكافل بينها.[2]

فقد كانت السلطة العثمانية الحاكمة تجل العلماء وتمنحهم الجرايات وتعفيهم من المصادرة وتقبل وساطتهم بينها وبين الرعية في رفع المظالم ولم يعرف عن السلطة قتلها للعلماء أو التنكيل بهم إلا نادرا فلم تكن تبيح بقتلهم بل تطرد الذين يسرفون منهم إلى البلاد البعيدة. [3]

ولقد وجد العرب في مصر والشام خلال العهد العثماني في قطاع الوظائف الدينية مجالا للتعبير عن السلطة المحلية في الولايات إذ كان المفتون والقضاة في أغلبهم من السكان المحليين وكانوا يقومون في الهيكلة العام للمجتمع

1-عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، تح عبد الرحيم عبد الرحمان، ج3، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر، 1969، ص267.

2-ليلى الصباغ، المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني، د ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، 1973، ص119.

3-قامت بصلب محمود البواب الذي ثبت عليه تهمة تحقير علماء دمشق فدولة لم تكن تتسامح في أمور الدين خاصة الإرتداد. أنظر: ليلى الصباغ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، ط1، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، 1986، ص234.

2

بدور الوسطاء بين الرعايا والسلطات التي كانت تحتاج إليهم كمعاونين في العدالة والحكم لكونهم دعائم قوانين الشرعية ومفسريها. [1]

ذلك أنهم كانوا يجالسون في مجالس العلم ويعملون مستشارين لهم أو حتى مراقبين فكثيرا ما دافعوا عن حقوق الرعايا ولو بعنف في وجه الحكام وكانت مع ذلك السلطة والشعب يكنون للعلماء الإحترام فقد وجد فيهم الشعب ملاذا يعتصمون به من غضب الحكام بل إن كثيرا من العلماء تصدروا الحركات الشعبية ضد الظلم ومع ذلك كان البعض منهم يسايرون الحكام للحصول على الوظائف والأموال ولذلك كانت تستخدمهم السلطة لمناوراتها مع الرعية فكانوا يميلون تارة إلى الرعية إذا ثارت وتارة على الحكام إذا تغلبت وينقسمون على أنفسهم إذا تلبس عليهم الأمر.[2]

فافي بلاد الشام ورغم صعوبة تحقيق الوحدة بين العلماء إلا أنهم لعبوا أدوارا هامة على غرار علماء مصر بل كانت لهم جرأة كبيرة أمام الأمراء في سبيل رد الظلم عن الشعب مثل الشيخ محمد الدمشقي 1080هـ/1669م الذي كان متصلبا في أمر الدين وذكر المحبي عنه أنه إذا دخل على محافظة الشام في مصلحة متعلقة بالحنافاة السمساطية فتشغل عنه فمسك الباشا من طوقه وقال له أنظر في أمر هؤلاء الفقراء واقضي مصلحتهم فالتفت إليه وقضى له أمره. [3]

كما تجدر الإشارة أن آلية إنخراط شرائح العلماء من جمهور العلماء داخل مباني السلطة قد اتخذت صيغا عديدة غطت شتى الأدوار التشريعية والسياسية

1-وجيه الكوثراني، مرجع سابق، ص43.

2-أندري ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر لطيف فرج، ط1، دار الفكر، القاهرة مصر،1991، ص65.

3-نفسه، ص66.

والقضائية والتعليمية والإدارية التي أنيطت بأجهزة العلماء كما تعرضت هذه الصيغ إلى جملة من التغيرات قبل أن تستقر وتتخذ أشكالها المؤسسية الراسخة في المرحلة الأوج من الدولة العثمانية. [1]

فلقد اعترف السلاطين بمكانة العلماء فاحترموهم واستشاروهم واستخدموهم في شؤون الدولة وشدوا أزر القضاة في قضائهم والمفتين في إفتائهم في الشريعة والمدارس التي تدرس الشريعة فالسيف الذي كان في أيدي السلاطين وأتباعهم وذويهم من قواد ومقدمين في الدولة وبأيدي جنودهم وعساكرهم ينبغي أن يستعملوه بالتكاثف والتحالف بين العلماء العارفين بأمور الدين والشريعة القائمين بتعاليمها وتفسيرها وتنفيذها. [2]

هذا التحالف الديني السياسي بين الجماعات المكانة الدينية العربية وبين جهاز السلطة الحاكمة عبر مختلف مراتبه ومستوياته كان أحد أهم العوامل المساعدة على إستقرار الحكم العثماني من جهة وعلى إطالة أمده لهذه الفترة الطويلة التي قاربت أربعة قرون من الزمن من جهة أخرى، فقد ساعد رجال الدين العرب من خلال الوظائف العديدة التي تقلدوها في الجهاز الديني والإداري والقضائي في المحافظة على استقرار المدن وفي انتظام العلاقة بين هذه المدن والأرياف الزراعية والطرقية الأمر الذي كان يساهم في استقرار الإنتاج الزراعي والحرفي الذي كان ضروريا لرفد خزينة الدولة العثمانية وحاجتها إلى المال. [3]

1-حسن الضيقة، الدولة العثمانية الثقافة المجتمع والسلطة، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1997، ص108.

2-ألبرت الحوراني، مرجع سابقنص06.

3-نفسه، ص07.

وقد وصل الأمر بجماعات المكانة الدينية المقيمين في المدن من رجال الدين ومفتين وقضاة ونقباء أشراف وسياد أن يشكلوا قوة ضاغطة على حكام الولايات والألوية والأقضية التابعة لها فقد أمسكوا بمفاتيح مشروعية الحكم وكان بمقدورهم إضفاء الصيغة الشرعية على حكم أحد السلاطين هذا وكانوا في الوقت نفسه أكثر قدرة على كبح الصناع والعمال في الأحياء الشعبية لذلك فإن الدولة العثمانية التي هي دولة عسكرية دينية إقطاعية سعت منذ بداية حكمها للبلاد العربية على تغليف سلطتها السياسية بهالة إسلامية يرسخ دعائم حكمها في المنطقة العربية التي هي منطقة يدين أكثرية أهلها بدين الإسلام. [1]

1-ساطع الحصري، مرجع سابق، ص10.

المبحث الثالث: مواقف العلماء من الوجود العثماني في المشرق

1- المطلب الأول: الموقف المعارض

2- المطلب الثاني :الموقف المؤيد

3- المطلب الثالث: ردة فعل الدولة العثمانية من هدة المواقف.

تمهيد

بقيت ولاتزال مسألة القرون الأربعة للحكم العثماني لأغلب المناطق العربية محل جدل وخلاف بين المؤرخين ،حيث اختلفت الآراء حول تحديد طبيعة الوجود العثماني في البلاد العربية ،ولعل أكثر فئة عنيت بهذا السؤال هي فئة العلماء باعتبارهم قوة المجتمع وممثلوه ولقد مس هدا الانقسام فئة العلماء ايضا بحيث اختلفت مواقفهم بين مؤيد ومعارض لذلك اتبعت الدولة العثمانية سياسة خاصة اتجاه هاته المواقف من احتواء هاته الفئة والسيطرة عليهم.

المطلب الأول: الموقف المعارض

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى اعتبار الوجود العثماني في البلاد العربية بمثابة غزو واحتلال. حيث كان السلطان سليم في نظر علماء مصر يمثل المسلم الباغي لأنه لم يكن ثمة ما يبرز قتاله غير ذلك البغي الذي وضح من احتلاله لولايات تابعة لدولة المماليك. فوفقا لرواية المؤرخين ممن عاصروا تلك الفترة فقد كان ذلك اليوم نكبة وحسرة فحسب رواية ابن إياس [1]

في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور فقد وقعت في القاهرة المصيبة العظمى التي لم يسمع بمثلها فيما تقدم ولم يقاس أهل مصر بشدة مثل هذه ويقارن الفتح بفتح نبوخذ نصر لمصر في الأزمنة القديمة التي يفترض أنه حرب البلاد كلها. كما يقارنه بتدمير بغداد على يد المغول عام 1258 ذلك الدمار الذي كان يعتبر لكل مسلم له وعي بالتاريخ كارثة شديدة[2]، وبينما تعتبر هذه المقارنات مبالغات شديدة فهي تكشف عن اتجاه هذا المؤرخ الحولي ضد العثمانيين، إذ أن

1-هو زين الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الناصري الجركسي الحنبلي من تلاميذ السيوطي(ت.91هـ، 1505م) ولد في القاهرة بين أسرة مملوكية حيث أن جده لأبيه كان من مماليك السلطان الظاهر برقوق وتدرج في المناصب حيث تولى وظيفة الدودار02 الثاني زمن السلطان فرج بن برقوق ويبدو أن قرب ابن إياس من القصر المملوكي فسح له المجال للكتابة والتأليف في حقل التاريخ دون مشكلات وأشهر مؤلفاته كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، عقود الجمان في وقائع الزمان، مرج الزهور في وقائع الدهور.... توفي سنة 930هـ/ 1523م ماجد ثامر مجلي، مشاهير مؤرخي مصر والشام في العصر العثماني ومصنفاتهم التاريخية، " مجلة كلية التربية"، العدد الحادي عشر، د.ت.ن، ص208.

2- مايكل ونتر، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، دط، تر ابراهيم محمد ابراهيم، مرا. عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، 2001 ص 46.

ابن إياس كان ينتمي إلى طبقة أولاد الناس ويؤثر سقوط المماليك فيه تأثيراً شخصيا ويصف ما يشهده البلاد في تلك الأيام بالقول" انتهك ابن عثمان سليم الأول حرمة مصر. وما خرج منها حتى غنم أموالها وقتل أبطالها ويتم أطفالها وأسر رجالها وبدد أحوالها وقد عد ابن اياس القتلى الذين قتلهم العثمانيين بعد معركة المحرم سنة 923هـ بما يزيد على عشرة آلاف انسان ويعقب على هذا بقوله ولولا لطف الله تعالى لفنى أهل مصر قاطبته بالسيف[1] ويعلق مايكل ونتر على أن هذا الرقم الذي أعطاه ابن اياس مضخم تضخيما كبيرا. ويذكر أيضا أن بيوت القاهرة غذت هدفا لهجمات العثمانيين الباحثين عن الجراكسة لقتلهم وقتل من يتستر عليهم. ولم تسلم البيوت خلال ذلك من التهب والتخريب.

كما أن حرمة المساجد والجوامع والزوايا والمدارس لم تمنع العثمانيين من مهاجمتها وتفتيشها. أما جامع شيخو الذي كان مقرا للقيادة المملوكية فإن العثمانيون أشعلوا فيه النيران فاحترق سقف إيوائه الكبير والقبة التي كانت فوقه كما أحرق العثمانيون البيوت من حوله بعد أن فر منها أهلها وكذلك لم يسلم الجامع الأزهر وهو روضة العلماء في هذا العصر من هجمات جند العثمانيين وتفتيشه.[2]

ثم تمكن العثمانيون من القبض على الشرفي يعني بن العباس خطيب جامع شيخو، وساقوه إلى سلطانهم ليقول فيه قوله. وكان للشرفي يحى مكانة سامية في نفوس أهل مصر انتزعها باخلاصه وصدقه وطيبته فكان لخبر القبض عليه دوي جعل الخليفة العباسي يبادر بالركوب إلى السلطان فيدرك ابن العداس ولقفا بين يديه. وقد هم السلطان العثماني بضرب عنقه فيشفع فيه ويلح في شفاعته فيقبل

1-ونتر ،المرجع السابق ،ص45.

2- ابن اياس ،المصدر السابق ، ص 1081.

3- ابن اياس ،المصدر السابق، ص 1085.

السلطان شفاعته وبهذا نجا لبن العداس من القتل بعد أن كان الموت منه قاب قوسين أو أدنى حيث يقول ابن اياس"ولولا أنه كان في أجله فسحة لضربوا عنقه الحال"[1].

كما يشير ابن اياس إلى انتزاع العثمانيين لرخام وأعمدة القلعة فيقول" ويأخذون ما فيها من الرخام السماقي فخربوا عدة قاعات من أوقاف المسلمين وبيوت الأمراء قاطبة حتى القاعات بيولاق وقاعات الشهابي أحمد ناظر الجيش. وغير ذلك من قاعات المبشرين والتجار وأبناء الناس والمدارس التي فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها ولم يعرفوا الحلال من الحرام.[2]

ويذكر ابن اياس أيضا إلزام السلطان جماعة من أهل الحرف وأهل الصناعات المدنية وأهل الصناعات الحربية والمهندسين بالسفر إلى إسلامبول بعد أن كتبت أسماءهم في سجلات فيطلب في مصر ما يزيد عن خمسين صناعة[3] وألزم أيضا جماعة من القضاة والشهود والعلماء وأرباب الوظائف بالسفر إلى إسلامبول وقد سجل ابن اياس أسماء كثيرين منهم وصف أحوال بعضهم وهم يجابهون اجراءات النفي والقمع وكذلك قدر عدد الذين ألزموا بالسفر حتى يوم الجمعة 6 من جمادى الآخر سنة 923/ 5 يوليو 1517 بثمان مئة رجل من مختلف الهيئات[4] كما ألزم الخليفة العباسي المتوكل على الله وبعض قرابته بالسفر إلى إسلامبول[5] ، ولقد نفذ العثمانيون خطة النفي التي شملت كثيرين من اهل العلم

1- ابن اياس ،المصدر السابق ،ص 1083.
2- المصدر نفسه ،ص1090.
3- نفسه ،ص1097.
4- نفسه، ص 1125.
5- اسماعيل، المرجع السابق، ص42.

في دقة وصرامة، ولم يسمحوا لأحد منهم بالتخلف عن السفر مهما كان عذره، ولم يراعوا كرامة العلم ولا قداسة الدين في هؤلاء الشيوخ فيبطشوا بكل من حلق منهم الاختفاء أو الهرب.

ولم تقتصر عملية الاستيلاء على ذوي الخبرات في العلوم والفنون والصناعات وإنما امتدت أيضا إلى بعض الكتب الخطية التي كانت تزخر بها المساجد والمدارس في مصر[1] فلقد شغف العثمانيون طوال عهدهم بجمع الكتب العربية التي تكونت في بلادهم مكتبات حوت أعداداً كبيرة من المخطوطات العربية النادرة التي سجلت فيها علماء العرب كثيرا من علومهم وفنونهم[2] ، وهنا ما أكده المؤرخ ابن زمبل الرمال[3]، في كتابه واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني حيث يذكر أن سليم الأول أمر بجمع ألفين من المصريين من رجال العرف والصناعات وكبار التجار والقضاة والأعيان والأمراء وأرسل بهم إلى القسطنطينية كما عمد العثمانيون مع بداية ولا يهتم إلى نزع ما في بيوت مصر وأثمن ما فيها من منقول وثابت متى الأخشاب والبلاط والرخام والأسقف المنقوشة ومجموعة من المصاحف والمخطوطات والمشاكي والكراسي النحاسية والمنابر[4]

1- ابن لياس ص 1090

2- اسماعيل ص 43

3- ما في البحر من العجائب والغرائب توفي بعد سنة 960هـ /1552 م ، خير الدين الزركلي، قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء العرب والمستعمرين والمستشرقين، ط4، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1979 م ، ص 180.

4-هو أحمد بن أبي حسن علي بن أحمد نور الدين، المحلي الشافعي بن زمبل الرمل، من موظفي ديوان الجيش العثماني إلى سنة 960ه/ 1552م الذي وافق الجيش السلطان العثماني سليم الأول أثناء الحروب التي أنهت الدولة المماليك في مصر وشام، وابن زمبل ضارب للرمل النجامة وهي ليست من المهن العسكرية أو الادارية وقد إكتفى الغموض حياة هذا المؤرخ إذ لم تذكر عنه المراجع شيئا أكثر من ذلك و ينتمي إبن زميل إلى الأجناد ومن مؤلفاته التاريخية واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، أو ما يسمى آخره المماليك، وتحفة الملوك والرغائب. الرمال، المصدر السابق،ص12.

ويعلق على هذا صاب اسماعيل يقوله " أن معظم المخطوطات العربي التي ظهرت في الدولة العثمانية من المخطوطات العربية فهو لا يمثل سوى نسبة قليلة من مجموع المخطوطات العربية بالدولة العثمانية وليس هناك وجه للمقارنة بين ما فعله الترتار والانسان بالتراث تمهما يكن من شيء فان فكرة الاستيلاء على الخبراء والعلماء لم تكن فكرة عثمانية خالصة فقد سبق اليها تيمور رلنك عندما دخل حلب ودمشق إذ أسر عددا من أرجان الصناعات والعرف والأطباء والفقهاء والعلماء وحفاظ ابقرآن الكريم كما يشير إلى أن العرفين الذين نقلوا إلى إسلامي في عهد السلطان سليم سمح لهم بالعودة في عهد ابنة سليمان لكنهم آثروا البقاء في اسطنبول [1]

كذلك دون المؤرخ الدمشقي ابن طولون[2].

الذي كان شاهدا على تلك المرحلة في كتابه " مفاكهة الغالان في حوادث الزمان" عن ما شاهده وكان أيضا شديد الانتقاء للنظام الجدي رغم أنه عبر عن نفسه بنبرة أقل مرارة و انفعال بكثير من تلك التي اتخذها معاصرة المصري ابن اياس حيث أخذ جانب من العباد في النقد السلطات الحاكمة معتبرا ذلك شيئا من التقوى ومظهرا من مظاهر الالتزام الديني بطاعة الحاكم طالما كان علي دبن الاسلام.

1- صابر اسماعيل، المرجع السابق، ص 44

2-هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي الشهير بابن طولون الدمشقي الصالحي ، الامام العلامة المؤرخ ولد بصالحية دمشق سنة 820هـ/1476م وسمع وقرأ على جماعة من العلماء وكان ماهرا في النجوة علامته في الفقه، مشهورا بالحديث وولي تدريس الحنفية في مدرسة الصالحية بالشام وقصده الطلبة في النحو ورغب الناس في السماع منه وكانت أوقاته معمورة بالتدريس والافادة والتأليف وكتب بخطه كثيرا من الكتب وكان واسع الباع في غالب العلوم المشهورة حتى تعبير والطب ومن مؤلفاته التاريخية "التمتع بالأقران بين ترجم الشيوخ والأقران"، " أنباء الأمراء بالأبناء الوزراء" ، "مفاكهة الخلاف في حوادث الزمان." إسماعيل باشا محمد البغدادي، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار احياء التراث العربي ، بيروت،2012 ،ص 240 .

ولم تكن له جرأة نضيره المصري ابن اياس مثلا ، حينما تناول بالنقد الحاد اللاذع تصرفات السلطان سليم الفاتح الشام ومصر وايذاء عسكره الرعاع.

وقد وصف ابن طولون البابية الكبرى التي منيت بها دمشق بعدما افتتحها بنو عيمان، عندما هجم العسكر العثماني في 11 رمضان 922 هـ على دمشق وضواحيها قائلاً " فأخرجت أناس كثيرة من بيوتها ورميت حوائجهم ومؤنهم وطرح جمع من النساء الحبالى وحصل على الناس شدة لم تقع لأهل دمشق وضواحيها قط حتى سافر من له قدرة، وبعضهم سكن الجوامع والمدارس بحريمهم، وأخرجت من بيتي ورميت كتبي. ولم يوقروا أحداً لا صغيراً ولا كبيراً ولا أهل القرآن ولا أهل العلم ولا الصوفية ولا غيرهم"[1] ثم يعود في جزئه الثاني ليضف بلية أخرى نالت من دمشق عقب القضاء على ثورة الغزالي حتى رسخت في أذهان الناس باسم الفتنة الغزالية فيقول" وفي القرمانية والرملية على الصالحية وجميع الجارات خارج دمشق وجميع القرى التي تبعد مسيرة يوم وليلة غط العسكر ليلة الأربعاء سابع عشرية صفر927، فكسروا أبواب بيوتها وحواصلها ودكاكينها وغير ذلك وذهبت أموال الناس وأسبابهم ولم يسلم منهم إلا من أعماه الله عنهم، ووفروا النساء فضلاً عن الرجال ولم يحترموا صوفيا ولا فقيها ولا كبيرا ولا صغيرا. وكانت النساء قد اجتمعت بجامع الحنابلة ومدرسة أبي عمرو الصوابية، ونحو ذلك فهجموا عليهم وعروهم حتى جامع السلطان سليم ابن عثمان. وأخذوا بعض النساء وجرار وعبيد وصبيان. وعدت هذه الكائنة على دمشق مثل كائنة اللنك، بل كيوم القيامة"[2]

1- ابن طولون ،مصدر سابق، ص 34.

2- ابن طولون ،ص386 .

فكل هذا الكلام المجرد عن النقد بلغ مبالغ استنكار ابن طولون على هذه الفضائح التي ارتكبها عسكر بني عثمان بدمشق رغم أنه نفسه قد ناله أبيضاً مقدار غير يسير من الأذية في هذه الواقعة وفقد بعمر كتبه وكتاب ابن طولون نماذج أخرى على امتعاض وإن كان مداري خجولا من بعض الممارسات الإباحية التي قامت بها السلطات العثمانية الحاكمة مثل احتفال الأورام العثمانيون بفتح جزيرة رودس وشربهم الخمر جهاراً في أسواق دمشق وأطلق نفط كثير بقلعتها نهاراً ثم ليلا. ونودي بالزينة سبعة أيام. فزينت دمشق زينة حافلة حتى عمارة السلطان سليم بالصالحية. غير أن الأورام قابلوا هذه النعمة باظهار المعاصي في أسواق دمشق خصوصا سوق باب الفرج من شرب الخمر مع النساء والصبيان مع إيقاد الشموع نهاراً فضلا عن الليل، وكان غالب من مر عليهم إن لم يشرب منهم رشوا على ثيابه الخمر، [1] ، ويضيف ونتر في كتابه المجتمع المصري تحت الحكم العثماني نقلا عن ابن إياس أن السلطان سليم كان رجلا متعطش للدماء قط عصبي لا ذوق له لا يحافظ على كلمته ولا يعدل بين الناس كما كان يتعاطى الخمر فيصبح ضعف الشخصية فلم يتمتع بكرامة الملوك أو ما يتحلون به من آداب السلوك. ويضيف أن الجنود العثمانيين كانوا ممن يشربون الخمور وكانوا من مدمني الشبك، كما كانوا ينتهكون حرمة شهر رمضان ولم يكن بعضهم حتى يقيم الصلاة وكانوا يسرقون الطعام من أصحاب الحوانيت أو لم يكونوا يدفعون الثمن المقرر وكان الناي يكرهون على جذب المدافع الثقيلة أو يشغبون أعمدة الحجارة التي يكون العثمانيون قد انتزعوها من بعض القصور داخل السفن المتجهة إلى اسطنبول[2]

1-أحمد إيبش، تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني، ط1، دار الكتب الوطنية أبو ظبي الإمارات، 2010، ص235.

2- ونتر، مرجع سابق ،ص49.

ونجد المؤرخ ابن الحمصي يصف لنا أفعال الجنود العثمانيين في كتابه حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران بقوله" فدخلوا البلد ونهبوا قماش الناس وحوائجهم ونهبوا دكاكين السوقة ولم يتركوا لأحد شيئا منهم .وارتحت دمشق رجة عظيمة أعظم من وقعة تيمور لنك وأخذوا من دمشق حريماً كثيراً وأولادا وعبيدا ولم يبقوا فيها لأحد فرساً لا بغلاً[1]

المطلب الثاني: الموقف المؤيد

يذهب أصحاب هذا الرأي بأن أهل مصر والشام رحبوا بالوجود العثماني في بلادهم ووجدوا فيهم سبيل الخلاص من الظلم المملوكي حيث تبدت الكثير من الشواهد التي عكست أن العرب لم يكونوا ينظرون إلى العثمانيين على أنهم محتلون وذلك من خلال الاستغاثات والنداءات التي أطلقها علماء الشام ومصر لانقاذهم من الحكم المملوكي وقد أشار الأستاذ محمد حرب إلى ذلك من خلال العريضة المحفوظة في الأرشيف العثماني في متحف طوب كابي في اسطنبول رقم 1163626 وهي عبارة عن رسالة من علماء وأعيان وأشراف أهل حلب إلى السلطان سليم الأول يناشدونه لتخليصهم من الحكم الشركسي ويشكون إليه الظلم[2]

وجاءت ترجمة نص الوثيقة كما يلي:

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى مولانا السلطان عن نصره:

1-شهاب الدين بن عمر الحمصي ،حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تج عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت لبنان2005، ص958.

2- حرب، المرجع السابق، ص 42.

قصة العبيد (القصد من ذلك التواضع أهل حلب)، العبد الفقير سيدي رمضان سيدي ابراهيم ابنا صاروخان. والعبد الفقير أبو البقاء بن الشبة والعبد الفقير القاضي الشافعي، والعبد الفقير شمس الدين الجلالي القاضي الحنفي والعبد الفقير جمال الدين يوسف الناذفي الحنجلي والقاضي محمد المالكي والعبد الفقير محمد بن بيرام والعبد الفقير علي ابن عمه والعبد الفقير ابم شينى. والعبد الفقير ابن قشان والعبد الفقير ابن صاني والعبد الفقير جمال الدين والعبد الفقير ابن نفسي والعبد الفقير ابن قصون وجميع الأكابر والأعيان والأشراف، وأهل حلب البعيد كلهم طائعون مختارون مطيعون منقادون لمولانا السلطان عن نصره

كتبت هذه الورقة باذنهم جميعاً وأرسلت إلى الحضرة العلية، طلب جميع عبيدكم وأهلهم وعيالهم. لا تشغلوا بالكم بجلب، إن تتفضلوا أسلم لكم الجراكسة يا صاحب دولتي أو أتعهد بأن يقف جميع عبيدكم أهل حلب ضد حضرة السلطان الغوري عندما يهاجم عنتاب قبل مجيئ التركمان. إن تخليصنا من يد الجراكسة بمثابة خلاص لنا من يد الكفل ليكن معلوما لدى سلطاني ما يلي: عدم تخطي الشريعة أصلاً، فكل شيء يسري على الخواص أيضاً، ولا يؤخذ شخص ما يملكه من مال أو أهل أو علل على الاطلاق، فكل فرد سلطان، طبقوا منا القسى، فلم يطع واحد من كل ثلاثة منازل، وكان السلطان الغوري علي حق في أن يظهر العداوة لنا، حيث كان تفكيره العظيم في ألا يسهل علينا الوقوع في يد التركمان نهب أنفسنا للسلطان صاحب الدولة سليم فور مجيئه وليلت الوزير ليمنح أهلها وعيالها الأمان أكرمونا. أرسلنا الرسول الذي تعتمدون عليه عادل سراً ليجتمع معنا بهذا الخصوص فلتمنحنا عهد الأمان لكي تطمئن قلوب هؤلاء الفقراء وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

العبد القضاء في حلب أبو البقاء وشمس الدين[1]

أما علماء وفقهاء مصر فقد ذكر عبد الله بن رضوان في كتابه تاريخ مصر مخطوط رقم 4971 بمكتبة بايزيد في اسطنبول، أن علماء مصر وهم نفسهم الشعب المصري وممثلوه يلتقون سراً بكل سفير عثماني يأتي إلى مصر ويقصون عليه شكواهم الشريف ويستنهضون عمالة السلطان العثماني لكي يأتي ويأخذ مصر[2]

ويقول يانسكي في كتابه عن السلطان سليم الأول علماء مصر كانوا يراسلون السلطان سليم الأول منذ بداية توله عرش بلده لكي يقدم إلى مصر على رأس جيشه ليستولي عليها ويطرد منها الجراكسة المماليك

أما عن الجانب الشامي من المشرق العربي وإن ترحيب الشعب السوري هناك بقدوم العثمانيين كان قبل قدومهم الفعلي وعلى سبيل المثال كان الغوري قد تحرك من مصر بجيوشه إلى الشام لملاقاة العثمانيين وعند دخوله إلى حلب فوجئ الغوري وجيوشه بأن الاهالي هناك لقنوا أطفالهم صيحة ينصرك الله يا سلطان سليم[3]

يقول د.نقولاي أن سكان سوريا استقبلوا سليم الأول كمنقذ لهم من ظلم المماليك وساعدوا الجيوش العثمانية بكل الوسائل، حيث قام سكان طرابلس وصفد وغيرهما من مدن جنوب سوريا ولبنان وفلسطين بالقضاء على الحاميات المملوكية والاستيلاء على القلاع واسقاط السلطات المملوكية، وبدأت في الأرياف حملة

1- متولي، المرجع السابق، ص43. أنظر الملحق رقم 02 ص73

2- حرب ،مرجع سابق ،ص43.

3- حرب، نفسه،ص47.

مطاردة حقيقية للمماليك وأظهر السوريون على المماليك نقمة شديدة وقسوة أكبر من العثمانيين أنفسهم، فعند إقتراب الجيوش العثمانية فتحرا لهم بوابات القلاع والمدن، ودخل السلطان سليم الأول دمشق وسار في شوارعها المفروشة بالحرير وسط احتفالات مهيبته واستقبل سليم الأول فيها وفود طرابلس وبيروت وصيدا وغيرها من المدن السورية التي سارعت إلى تقديم ولائها له[1]

ولم ينس سليم الاول دوره كنصير للشريعة والعدالة فكان يوزع الصدقات ويلجأ إلى كل الوسائل لإظهار عنايته بالفقراء والأرامل واليتامى ومنع السرقة والاغتصاب، فكسب إلى جانبه جماهير الناس البسطاء وقد أجمعت كل المصادر على أن سليم الاول لقي في سوريا استقبالا ترحيبياً غير عادي لاسيما من قبل المزارعين والتجار والحرفيين[2] في الاول من محرم 923هـ ألقيت الخطبة في مساجد القاهرة باسم العاهل العثماني« اللهم انصر السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين كاسر الجيشين، سلطان العراقيين، خادم الحرميين الشريفين الملك المظفر سليم شاه [3]

ووجد معظم العرب الذين يدينون بالمذهب السني الاسلامي أنهم يقبلون تماماً العثمانيين حكاما ولم يبدو أن الناس في ذلك العصر وجدوا مشكلة في نقل مركز الحكم من الأراضي العربية إلى اسطنبول، ويبدو أن العرب ركضوا إلى الجانب العلمي لا إلى الجانب الإيديولوجي في تقييم انتقال الحكم من المماليك إلى العثمانيين إذ نصبوا جل اهتمامهم على الأمور المتعلقة بالقانون والنظام وفرض

1-إيفانون، المرجع السابق، ص65.

2-نفسه ،ص66.

3- منتران ،المرجع السابق، ص519.

الضرائب المعقولة لا على فكرة حكم الاتراك للعرب[1]، ينقل لنا المؤرخ المصري عبد الرحمان الجبرتي فيما كتبه في بداية القرن التاسع عشر أن الحكم العثماني في بدايته حضي باحترام الناي فيقول: "كانوا في صدر دولتهم من خير من تقاد أمور الأمة من الخلفاء المهدد بين وأشد من دب عن الدين وأعظم من جاهد المشركين، فلذلك اتسعت مماليكهم بما فتح الله على أيديهم وأيدي نوابهم وملكوا أحسن المعمور من الأرض ودانت لهم المماليك في الطول والعرض هذا مع عدم إغفالهم الأمور وحفظ النواحي والثغور والشرائع، فتحصنت دولتهم وطالت مدتهم وما يتهم الملوك وانقاد لهم الملك والمملوك[2]

لم يأسف سكان الريف والمدن في الشام على زوال دولة المماليك ويحكي ابن اياس أن سكان حلب الذين كانوا يعانون الإفراط في فرض الضرائب والاستبداد من الحكم حالوا دون دخول المماليك المتقهقرين المدينة "وعاملوهم أسوء مما عاملهم العثمانيون" بعد هزيمتهم في مرج دابق وعندما دخل سليم حلب "أضاءت المدينة بالاحتفالات وأنارت الشموع في الأسواق وارتفعت الأصوات بالدعاء له وعمت الناس الفرحة للخلاص من الحكام المستبدين[3]. ويقول المؤرخ الدمشقي محمد بن طولون أن أهل دمشق أيضاً لم يشعروا بالقلق حيال تغيير قادتهم السياسيين ويوجز ما كتبه عن آخر أدام حكم المماليك بالحديث عن الإفراط في فرض الضرائب وجشع المسؤولين وضعف الحكومة المركزية وعما اتسم به أمراء المماليك من طرح جامع وما انتاب الريف من عدم الاستقرار وعن الكوارث الاقتصادية التي نجمت عن سوء

1-روجان، المرجع السابق، ص34.

2-الجبرتي ،المصدر السابق ،ص1213.

3-ابن اياس، ج3، ص63.

الادارة هنا[1] ، وفي المقابل نجد لدى ابن طولون ما يمدح به الحكم العثماني الذي دخل على إقليم دمشق تطبيق القانون وحفظ النظام والتزام الحدود المقبولة عند فرض الضرائب.

ويصف الجبرتي السلطان سليمان قائلاً " أسس القواعد تمد المقاصد ونظم المماليك وانار المحالك ورفع منار الدين وأخمد نيران الكافرين ولم نزل البلاد رأى مصر منتظمة في سلكهم ومنقادة تحت حكمهم من ذلك الاوان الذي استولوا عليها فيه إلى الوقت الذي نحن فيه[2]

إن سلامية الدولة العثمانية وسنيتها كانتا الشريعة الواضحة التي التي تولت بها هذه الدولة قيادة البلاد التي سيطرت عليها كمصر والشام ولقد كان لهذا الواقع صدى في معظم النفوس كما كان له صدى في نفوس العلماء أيضاً فقد أعلن قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل من فوق منبر حلب أن الصلح خير وأيد قوله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية بعد أن قطع جيش مصر مراحل شاسعة وتكلف الملايين من الأموال لصد جيش العثمانيين[3] ولما دخل السلطان سليم القاهرة في محرم سنة 923هـ/ يناير 1517 ألقى قاضي القضاة المالكي محمد بن عبد الكريم الدميري خطبة من فوق منبر الغورية حضرها السلطان سليم وكبار قامته. وقد دار موضوعها حول العدل وكيف أن العدل كان سببا في انتصار الدولة العثمانية وكيف أن الظلم كان سببا في هزيمة دولة المماليك كما ضمن قاضي القضاة خطبته حثا على لزوم الجماعة وتحذيراً من الفرقة والفتن ولم يكتف قاضي القضاة الدميري بهذا بل ألف مجموعة من القصائد في مدح السلطان سليم بلغ عددها تسعا وعشرين

1- ابن طولون ،مصدر سابق ،ص 428.

2- الجبرتي ،المصدر السابق ،ص 21.

3- ابن اياس ،المصدر السابق ،ص1023.

قصيدة رتبها حسب قوافيها على حروف المعجم[1] ولقد كان مؤرخو هذه الحقبة من علماء الازهر أو ممن تلقوا عنهم سجلوا لنا آرائهم عن الدولة العثمانية في جانب الرضا والاستحسان، لأنها دولة التزمت بالشرع وأحكامه ووافقت مبادئ أهل السنة بل إن بعضهم جعلها الدولة التالية لدولة الخلفاء الراشدين في الفضل والعدل[2] وبذكر مايكل ونتر أن مجموعة من الكتاب العرب قد أعطوا صورة أفضل للعثمانيين من تلك التي أعطاها ابن اياس وابن طولون مثل الصوفي المصري عبد الوهاب الشعراني المتوفي عام 1565م، والفقيه ابن نعيم المتوفى عام 1563 وعبد القادر الجزيري المصري المتوفي 1553 والذي كان أمينا لعدة أمراء لقوافل الحج[3] والمؤرخ المكي قطب الدين النهروالي المتوفي عام 1522، وفي القرن السابع عشر يمدح جميع المؤرخين الحوليين من أمثال موعي بن يوسف الحنبلي ومحمد بن السرور الصديقي الدولة العثمانية وعلى الأخص أسرتها الحاكمة باعتبارهم مسلمين ولا يرقى إليهم أي ظل من الشك، ففي كتاباته المهمة يكيل النهروالي الثناء على العثمانيين باعتبارهم سنيين متحفظين وحكاماً أقوياء عادلين ويشعر بالامتنان بصفة خاصة لتأييدهم للعلماء والصوفية. وباعتباره مكيا فهو يقدر الجوانب الدينية نحو أهل مكة والمدينة ونشيد ميال للاستخدام الديني والمدني في الأرض الحرام[4]

ولم يكن شيء من هذا بالشيء الجديد. غير أن الطريقة التي تمر بها ذلك كانت فريدة وتتسم بالاستمرار ومدح سليمان على اعترافه بالوقف وهي أفعال شاركه

1-اسماعيل، المرجع السابق ،ص55.

2- نفسه، ص56.

3-أنظر عبد القادر بن محمد الجزيري، الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، تج محمد حسن اسماعيل، ط1 دار الكتب العامية، القاهرة مصر 2002، ص 112-264.

4- قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي ،الاعلام بأعلام بيت الله الحرام، تح و تق عبد العزيز رضا ،المكتبة التجارية مكة المكرمة 1996، ص258.

فيها أعداؤه المهزومون، ويوصف بأنه سلطان مثالي غير أن أسمى آيات الثناء كانت من نصب سليمان فهو يسمى معبد الدين في القرن العاشر[1] ويسميه الصوفي الشعراني القطب الزاهر وهو من أهم لقب للأسرة العثمانية، قلائد القيان في فضائل آل عثمان[2]

وكان المؤلف من العلماء ولد في فلسطين غير أنه يمكن اعتباره مصريا من الناحية الاجتماعية والثقافية من حيث أنه قضى معظم حياته وسنوات إيداعه في مصر وثمة حقيقة ينبغي ذكرها وهي أن إسلامية الدولة العثمانية وسنتيها كانتا الشريعة الواضحة التي تولت بها هذه الدولة قيادة البلاد التي سيطرت عليها كمصر والشام والعراق والحجاز ولقد كان لهذا الواقع صدى في معظم النفوس العلماء وأيضا فلقد كان مؤرخو هذه الحقبة من علماء الأزهر أو ممن تلقوا عنهم سجلوا لنا آرائهم عن الدولة العثمانية في جانب الرضا والاستحسان لأنها دولة التزمت بالشرع وأحكامه ووافقت مبادئ أهل السنة بل إن بعضهم جعلها الدولة التالية لدولة الخلفاء الراشدين في الفضل والعدل[3]

1- المصدر السابق ،ص 291.

2- لمزيد من التفاصيل أنظر: مرعي يوسف الكرمي الخيبلي در وتح. ابراهيم فاعور الشرعة، مؤسسة رمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص207.

3-اسماعيل، المرجع السابق ،ص55.

المطلب الثالث: رد فعل الدولة العثمانية من هذه المواقف

كما أشرف سابقا فإنه كان للعلماء مكانة مرموقة بالنسبة للسلطة والرعية على حد سواء، كما تمتعوا بامتيازات واسعة خاصة في المجال الوظيفي لكن سرعان ما لمس العلماء تغيرات واضحة بخصوص أوضاعهم وامتيازاتهم ويمكن أن نتبين مقدار القلق الذي ساور جماعة العلماء منذ الأيام الاولى لإقامة السلطان سليم في دمشق من خلال المسألة التي أثارت الاضطراب لدى العلماء والعامة على السواء والتي عرفت بما يسمى اليسق العثماني اليسق: "الياسا" أو اليسق كلمة مغولية الاصل، تعني القاعدة والقانون أو أحكام الجزاء التي أصدرها جنكيز خان سنة 1206م، استخدمه ابن طولون بمعنى الضريبة واستخدمه ابن اياس بمعنى العادة واستقر الأمر على اعتباره بالدرجة الاولى بمثابة المبلغ الذي يتقاضاه القاضي على الأحكام الشرعية التي يصدرها وهو قانون عرفي ليس له سند شرعي. [1] حيث اعتبر العمل باليسق بمثابة فتنة حصلت في الدين، لما دخلت الدولة العثمانية وضربت المكس على الأحكام الشرعية حتى على فروج النساء، وحسب الغزي فإن علي بن محمد المقدسي الشيخ الإمام بقوله:« أي فتنة أعظم من ذلك وقد لحقه القصر على دين الاسلام وتغيير الأحكام»[2].

ثمة إذا موقف رافض من جانب علماء الشام ومصر واتجاه فرض اليسق باعتباره مخالفا للشريعة وحين طالب ملك الامراء خايير بك من العلماء الخضوع

1-انظر: محمد سيد محمود حسين، الزواج في مصر العثمانية، د.ط، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية مصر، 2018 ص16.

2- الغزي، المصدر السابق، ص 193 .

لليسق العثماني، بادره شخص من طلبة العلم بالقول: هذا يسق الكفر[1] وحين يتعلق الأمر بالقانون العثماني فإن ابن اياس يعلق بالقول إنه أشام قانون[2]

استقر الامر على اعتبار اليسق بالدرجة الاولى بمثابة المحصول أو المباغ الذي يتقاضاه القاضي عند الأحكام وهو إجراء ليس له سند شرعي حسب علماء القرن السادس عشر، وقد عكس الأمر اختلافا مذهبيا بين أتباع المذهب الشافعي من جهة والمذهب الأكثر انتشاراً بين علماء مصر والشام وبين علماء المذهب الحنفي من جهة ثانية، وهو المذهب الرسمي الذي تلتزمه الدولة العثمانية إلا أن اليسق عني أيضا كل الطرائق التي ادخلها العثمانيون والتي عرفت باسم "القانون" الذي يضم القواعد والترتيبات التي لا تستند إلى أساس شرعي وكان فرض اليسق ينبئ بتحول لمسه العلماء ويختص مباشرة بأوضاعهم وامتيازاتهم وطبيعة المهام الموكلة إليهم[3]

جاءت الترتيبات العثمانية سرعا لتؤكد توجس العلماء وخشيتهم وقد قضى الترتيب الأول بتقليص عدد الأفراد الجهاز الشرعي فحصر عدد أفراد الجهاز وشهود مدينة دمشق بثمانية[4] وخفض من مؤذني الجامع الأموي حوالي الثلاثين ووضع الحكام أيديهم على الأوقاف وقصدوا من ذلك أذى الناس حسب ابن طولون وأبطل العثمانيون العمل بنظام القضاة على المذاهب الأربعة، فعينوا من طرفهم في دمشق القاضي علي بن القفاري الحنفي وعين له نواب من قضاة المذاهب الأخرى[5]

1-ابن اياس، المصدر السابق، ج5 ،ص 927.

2-نفسه ،ص993.

3- زيادة ،المرجع السابق، ص88.

4- ابن طولون، المصدر السابق ،ج2 ،ص29.

5- نفسه، ص 30.

وعلى هذا النحو تقدم الأحناف على الشوافع وسائل أتباع المذاهب، وكادت الفتنة تقع في الجامع الاموي بسبب الخلاف بين الأروام، أي الاتراك الذين هم على المذهب الحنفي عادة وبعض الشافعية[1] وتبعا لذلك فإن بعض التقاليد التي درج عليها العلماء في مصر وبلاد الشام أخذت تتبدل وقد شاع أن القاضي ولي الدين بن الفرفور قد تحول إلى المذهب الحنفي وأنه صلى صلاة العيد على قاعدة مذهب الحنفية من سرعة في الهبوط في القومة في الركوع والقومة في السجود، وقد وصلت أخبار القاضي الشهير ابن الفرفور إلى القاهرة، إلا أن انتقاله إلى مذهب الحنفية بقي غير مؤكد[2].

والواقع أنه عاش محنة بسبب فراره من دمشق، فقد احتفظ قضاة القضاة على المذاهب الأربعة بمناصبهم واستمروا في ممارسة عاداتهم التي درجوا عليها كالصعود عند مطلع كل شهر إلى القلعة لتهنئة ملك الأمراء بيد أن المراسيم القديمة استطاعت أن تصمد في مصر القاهرة لعدة سنوات[3] .

فقد احتفظ القضاة بالشهود والوكلاء وفي فترة الانتقال التي امتدت سنوات تولية خاير بك لمصر، برزت قوة جديدة في المشرق واكتسبت نفوذا خاطفا ويلاحظ ابن اياس المنحة التي حصل عليها الخليفة العباسي المتوكل فيقول: "فصار هو صاحب الحل والعقد والأمر والنهي، وكانت رسالته ماشية في القاهرة لا ترد"[4]

كذلك فإن المباشرين المولجين بوظائف الادارة احتفظوا بوظائفهم واستعانوا بحراس من الجند العثماني، كان هؤلاء المبشرين ينحدرون من بيئة العلماء

1- نفسه، ص38.

2- نفسه، ص73.

3-زيادة، المرجع السابق ،ص.32

4- ابن اياس، المصدر السابق ،ص157.

ويتسلمون مناصب الادارة ويلاحظ ابن اياس أن سنة 924هـ/1518م كانت سنة مباركة على المبشرين الذين بمصر.

وصاروا هم الملوك يتصرفون في المملكة بما يختارونه من الأمور ولا سيما ما فعلوه من جهات الشرقية والغربية فوضعوا أيديهم على رزق الناس ثم استدرجوا إلى أخذ أموال الاوقاف وصار ليس على يدهم يدفعون ما يشاءون على هذا النمط[1]

إن الامور لم تستمر على هذا المنوال، فكانت الصدمة الاولى في نقل الخليفة العباسي من القاهرة إلى استانبول، فكن ذلك من الحوادث المهولة حسب تعبير ابن اياس وكانت الأخبار ترد من دمشق أولا بأول وأشيع أن لا يحكم بالشام غير قاضي القضاة الحنفي كما هي العادة في استانبول وسرعان ما يستنتج ابن اياس أن شوكة الشرع قد ضعفت[2]

كما عين العثمانيون شخصا صار يجلس على باب المدرسة الصالحية يسمونه المحضر، وحوله جماعة من الانكشارية فكان لا يعرض أمراً من الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه[3]

ويذكر لنا ابن اياس في عبارات متلاحقة في صفحات الجزء الأخير من تاريخه كيف كان يتم إبطال العادات القديمة التي كانت تعلن ما للعلماء من نفوذ وهيبة فيقول: "بطل ما كان يعمل في يوم العيد من تلك المواكب الجليلة والمثمرات والتشاريف السنية، وبطل ما كان يخلع في ذلك اليوم من الخلع على القضاة

1-نفسه ،ص232.

2- نفسه، ص 244.

3- نفسه، ص243.

والأمراء والمبشرين وأرباب الوظائف قاطبة وزال ذلك النظام العظيم في مصر كأنه لم يكن أبداً[1]

إن النظام الراسخ الذي درج عليه العلماء كان يشهد لحظة تصدعه وقبل أن يعين السلطان سليمان قضاة أتراكا في مصر كان العثمانيون قد طلبوا عبر أمير الأمراء خاير بك وفي مجال تنظيم الاحكام الشرعية التي لا يزيد عدد نواب القاضي عن سبعة وأن يختص كل نائب بشهادتين فقط[2]

أدرك العلماء مدى ما ترمي إليه هذه الإجراءات من وضع حد لنفوذهم ويذكر ابن اياس يما سمع الناس ذلك اضطربت أحوالهم غاية الاضطراب ولا سيما نواب القضاة والشهود وحصل لهم الضرر الشامل وأصبحت المدرسة الصالحية ليس يلوح بها قاض ولا شاهد ولا معهم بعدما كانت قلعة للعلماء[3] .

إن ألفاظ المؤرخ لا تدع مجالا للشك حول إدراك العلماء لما آل إليه وضعهم ولم تنفع شكواهم إلى أمير الأمراء خاييز بك قبل وفاته بقليل وقد عرف هو الآخر انعدام سلطته بقوله: "إيش أنا؟ الخوندكار رسم بهذا وقال امشوا على اليسق العثماني[4]

ولم يستطع العلماء تنفيذ تهديداتهم بغلق المساجد والجوامع مع الإجراء الذي نص على تعيين القسام أي قاضي العسكر الذي أصبح المرجع في كل الشؤون الشرعية ثم التضييق الأخير على علماء مصر، فصار يتصرف بأحكام

1- نفسه ،ص316.

2-زيادة، المرجع السابق، ص34.

3- ابن اياس، المصدر السابق، ص418.

4- نفسه ،ص427.

المذاهب الأربعة وجعل لنفسه نوابا من العثمانيين وجعل لهم معاونين من قضاة مصر، وأمر بإبطال نظام النواب والشهود في مصر قاطبة[1].

وفي الوقت نفسه أحكم العثمانيون قبضتهم على شؤون الأوقاف والمدارس وعند تعيين أول ولاة مصر من العثمانيين بدا نظام العلماء وكأنه يتهاوى فلم يستقبل الوالي قضاة مصر ولم يعدهم من البشر ورفض استقبال المباشرين واحوالهم على الدفتر دار وأبطل جميع نظام القلعة الذي كان عليه قديما وحسب ابن اياس فإن مصر صارت لا يعرف لها نظام[2].

1- زيادة ،المرجع السابق ،ص35.

2- ابن اياس، المصدر السابق، ص226.

الخاتمـــة

الخاتمة:

وفي الأخير مما تقدم ذكره يمكن استنتاج ما يلي:

1- أن التوجه العثماني نحو المشرق العربي كان نتيجة عدة أسباب منه ما يتعلق بالجانب العثماني ومنها ما يتعلق بالجانب المملوكي ومنها ما يتعلق بالظروف التي كان يعيشها العالم في ذلك الوقت

2- الدخول العثماني للشام كان نتيجة انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق سنة 1516.

3- الدخول العثماني لمصر أيضا كان نتيجة انتصار العثمانيين مرة ثانية على المماليك في معركة الريدانية سنة 1517.

4- أبقى العثمانيون على البنى الإدارية التي كانت زمن المماليك ولم يتجهوا إلى سياسة العثمة إلا في وقت متأخر.

5- أن جهاز العلماء في المشرق العربي تشكل من هيئة موسعة تقسم بنوع من الوحدة بحيث يصعب تصنيفهم والفصل بينهم ويمكن أن نرصد ضمن هذه المجموعة الواسعة اتجاهين كبيرين هما علماء الشريعة وعلماء الحقيقة، حيث اندمج المتصوفة في البيئة الواسعة للعلماء وأثبتوا وجودهم كجزء من هذه الهيئة رغم أن العديد من الفقهاء والمتحدثين عبروا عن رفضهم للتصوف ومباده.

6- أن قطاع التوظيف قد تميز بتنوع كبير حصل له ولعل أهم الوظائف التي تقلد بها العلماء في هذه الفترة هي وظائف الإدارة في الدولة العليا ووظائف القضاة والشهادة ووظائف التدريس، وظائف دينية كالإمامة والوعظ... إلخ، إلى جانب وظائف أخرى في مجال الحرف ذلك أن رواتبهم لم تكن كافية في كثير من الأحيان

7- أن علاقة العلماء بالسلطة كانت علاقة وساطة بين الدولة والرعية باعتبار أن العلماء كانوا يعتبرون سفراء الشعب وممثلوه فلقد اعترف السلاطين بمكانة العلماء فاحترمهم واستشاروهم واستخدموهم في شؤون الدولة وشدوا أزر القضا في قضائهم والمفتين في إفتائهم وفي المقابل ساعد رجال الدين العرب من خلال الوظائف العديدة التي تقلدوها في الجهاز الديني والإداري والقضائي في المحافظة على استقرار المدن وانتظام العلاقة بين المدن والارياف وبين السلطة والرعية مما ساعد على استقرار الحكم العثماني من جهة وإطالة أمدة هذه الفترة الطويلة التي قاربت أربعة قرون من الزمن من جهة اخرى.

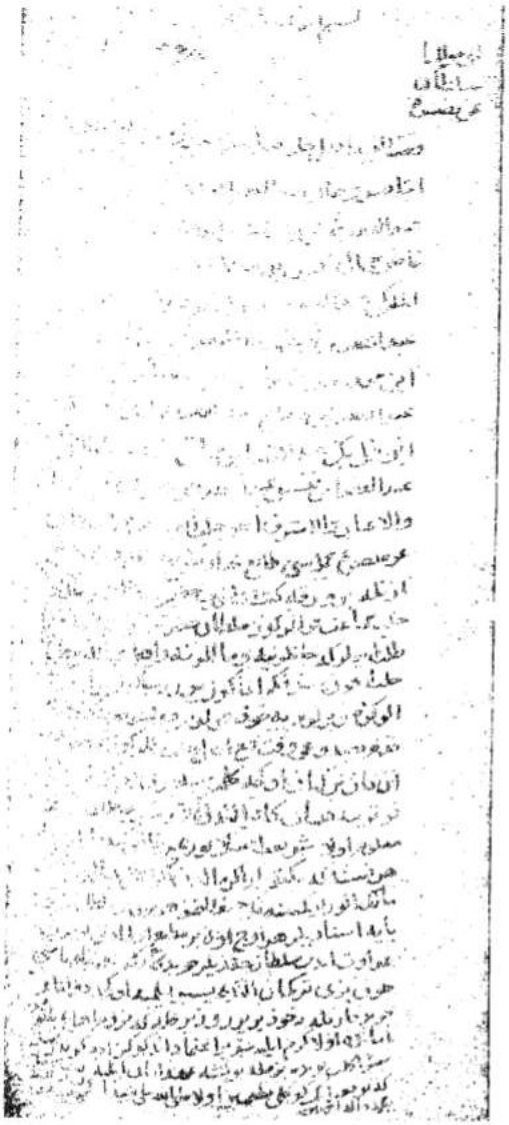
8- إختلاف مواقف العلماء حول مسألة الوجود العثماني في المشرق العربي بين مؤيد ومعارض حيث يذهب البعض إلى اعتباره غزوا واحتلال أمثال ابن اياس وابن طولون في حين يذهب البعض الآخر إلى اعتباره المنقذ والمحرر من ظلم وتعسف الحكم المملوكي وهذا ما جسدته العريضة التي أرسلها علماء ووجهاء حلب إلى السلطان سليم الاول.

9- كان اليسق العثماني أكثر المسائل التي أثارت الاضطراب لدى العلماء إذ كان بداية التغيرات والإجراءات التي أجرتها الدولة العثمانية والتي لمست أوضاعهم وامتيازاتهم ووظائفهم.

الملاحق

الملاحق

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لوحة رقم (١٢)
وثيقة محفوظة فى أرشيف طوبقبو سراپى
باستانبول، تحت رقم E.11634
371



مرج دابق (٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م)
الرِيدانيَّة (٩٢٢ هـ - ١٥١٧ م)
بيـــن
العثمانيين والمماليك

١٠٥

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1المصادر :

1. ابن الوكيل يوسف الملواني،تحفة الأحبان بمن ملك مصر من الملوك والنواب،ط1دار الأوقاف العربية،القاهرة،1991
2. ابن إلياس محمد ابن احمد،بدايع الزهور في وقائع الدهور،الهيئة المصرية العامةللكتاب،القاهرة،مصر 1984
3. ابن زمبل الرمال،اخرة المماليك،تح،عبد المنعم عامر،اش،عبد الرحمان الشيخ،الهيئة المصرية العانة للكتاب،القاهرة،1998
4. ابن طولون ،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان،المؤسسة المصرية ،القاهرة 1964
5. آصاف عزتلوبك ،تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشاتهم حتي الآن ،كامات عربية للنشر والتوزيع ،القاهرة 2011
6. اوغلي ساحلي خليل ،من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني ،مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية ،استنبول ،2000
7. البغدادي اسماعيل باشا بن محمد ،هدية العارفين اسماء للمؤلفين واثار المصنفين ،دار إحياء التراث العربي .د ت
8. الجبراتي عبد الرحمان، عجائب الأثار في التراجم والأخبار ،تح عبد الرحيم عبد الرحمان ،ج3دار الكتب المصرية ،القاهرة مصر ،1969
9. الجزيري عبد القادر بن محمد ،الفوائد المنضصة في اخبار الخح وطريق مكة المعظمة ،تح،محمد حسين اسماعيل ط1دار الكتب العامية ،القاهرةمصر ،2001

10. الحمصي شهاب الدين بن عمر،حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ،تح عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصريى للطباعة والنشر,بيروت لبنان 2005

11. الحنبلي يوسف الكرمى،تر وتح ابراهيم فاعور السرعة ،مؤسسة دماة لدراسات الجامعية للنشر والتوزيع ،الأردن 2007.

12. زيادة خالد ،الصور التقليدية للمجتمع المدني ،قراءة منهجية في سجلات المحاكم الشرعية في القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ،الجامعة اللبنانية طرابلس لبنان،1983

13. السبكي تاج الدين ،معيد النعم ومبيد النقم ،دار الحداثة بيروت 1989

14. الطهطاوي رفاعة ،الأعمال الكامة،تح،محمد عمارة ،ج1ط1،دار الشروق بيروت ،لبنان 2010

15. الغزي نجم الدين ،الكواكب السائرة في اعيان المنة العاشرة،تح،خليل منصور ،ج1،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1997

16. المحامي فريدك بك،تاريخ الدولة العثمانية ،مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة ،بيروت 2012

17. المحيي محند الأمين خلاصة الأثر في اعيان القرن الثامن عشؤ ج3،الدار الصادر ،بيروت لبنان .د،س،ن

18. المرادي محمد خليل،سلك الدرز في اعيان القرن الثاني عشر ج1مكتبة المدني بغداد العرايف ،د،ت،ن

19. النهر والي قطب الدين محمد بن احمد ،الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،تح وثق عبد العزيز رضا،المكتبة التجارية مكمة المكرمة 1996

2/المراجع

1. احمد عبد اللطيف ليلي،الإدارة في مصر في العهد العثماني ،ط1،جامعة عين الشمس القاهرة 1978

2. استونا يلماز ،تاريخ الدولة العثمانية ،تر محمود سليمان ،محمد الأنصاري ط1،م1،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،تركيا اسطنبول 1980.

3. اسماعيل صابر عبد الجواد ،مجتمع علماء الأزهر ابان الحكم العثماني 517-1797دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة مصر 2016

4. انيس محمد،الدولة العثمانية والمشرق العربي،مكتبةالأنجلوالمصرية القاهرة 1982.

5. ايبيش احمد،تاريخ الشام مطلع العهد العثماني .ط1دار الكتب الوطنية ،ابوظبي الإمارات 2010

6. اي‌ڤانوف نيقولاي،الفتح العثماني الأقطار العربية 1516 1574تح يوسف عطاالله،مر مسعود ضاهر ط1،دار الغربي،بيروت ،لبنان،1988.

7. اينالجيك خليل ،تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الي الإنحدار .تر محمد الأرنوط ،ط1دار المدار الإسلامي ،بيروت لبنان 2002.

8. بيات فاضل ،البلاد العربية في الوثائق العثمانية م1مركز الأبحاث للتاريخ والفنون ،اسطنبول 2016.

9. بيات فاضل ،الدولة العثمانية في المجال العربي .ط1مركز الدراسات الوحدة عربية بيروت 2007

10. بيات فاضل ،بلاد الشام في الآحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة 1544_1566 ج1،منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام عمان 2005.

11. بيات فاضل دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ط1دار المدار الإسلامي بيروت لبنان،2003

12. التونجي محمد ،بلاد الشام ابان الحكم العثماني .دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت 2004.

13. حرب محمد ،العثمانيون في التاريخ والحضارة ط1،المركز المصري للدراسات العثمانيةوبحوث لعلم التركي ،القاهرة 1999.

14. حرزان السيدرجب،انيس محمد،الشروق العربي في تاريخ الحديث والمعاصر دار النهضة العربية ،القاهرة 1967.

15. حسن سيد محمود الزواج في مثؤ العثمانية د.ط،مكتبة الإسكندرية مصر،2018

16. الحصري ساطع ،البلاد العربية والدولة العثمانية ،دار العلم للملايين ،بيروت 1965. سالم احمد استراتجية الفتح العثماني ،مؤسسة شهاب الجامعة الإسكندرية ،2012.

17. الحكيم يوسف ،سوريا والعهد العثمانيو.ط1دار النهار لنشر والتوزيع بيروت لبنان 1991

18. حني فيليب تاريخ سورياولبنان وفلسطين ،تر كمال اليازجي ،مراسرائيل جبور ج2دار الثقافة بيروت لبنان 1963

19. الخوالي بديع جمعة ،تاريخ الصفويين وحضارتهم ،دار الرائد العربي،القاهرة1976.

20. دراج محمد الدخول العثماني الي الحزائر ودرو الاخوة بربروس 1512_1543،ط1الآصالةللنشر والتوزيع ، الجزاير 2013.

21. رافق عبد الكريم ،المشرق العربي في العهد العثماني ط2منشورات جامعة دمشق 1999

22. روبير واخرون ،تاريخ الدولة العثمانية ،ج1ط1تع،بشير سباعي دار الفكر للنشر والتوريع ،القاهرة 1993.

23. روجان روحين ،العرب من الفتوحات العثمانية الي الحاضر تر محمد ابراهيم افندي ط1كلمات عربية للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان 2011

24. ريمون اندري ،المدن العربية الكبري في العصر العثماني تر لكيف فرج ،ط1دار الفكر ،مصر 1991

25. زيادة خالد الكاتب والسلطان من الفقيه الي المثقف.الدار المصرية للبنانية ،القاهرة مصر ،2013

26. زيدان جرجي،مصر العثمانية،ط1دار الأفاق العربية ،القاهرة 2002

27. السيد محمد سيد، مصر في العصر العثماني ط1مكتبة مديولي ،بيروت لبنان2003 .

28. السيد محمظ السيد ،تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ،مؤسسة شباب الجامعية ،بيروت 2004

29. صباغ عباس اسماعيل،تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانين والصفويين،دار لدار النفائس،بيروت لبنان 1999.

30. الصباغ ليلي ،المجتمع السوري مطلع العهد العثماني الآول ط1،الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ،دمشق سوريا 1973

31. الصباغ ليلي من اعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ,ط1الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ،دمشق سوريا 1986

32. الصيفة حسن ،الدولة العثمانية الثقافة المجتمع والسلطة ،ط1.دار المنتخب العربي لدارسات والنشر والتوزيع ،لبنان 1997

33. طقوس سهيل ،تاريخ العثمانين من قيام الدولة الي لإنقلاب علي الخلافة ،ط3دار النفائس ،بيروت ،2013.

34. عبد الرحيم سعيد احمد واخرون ،تاريخ الأقليات في المشرق العربي من اهل الذمة الي نظام الملة ،ط1دار القرابي،بيروت لبنان 2016

35. عبده قاسم ،عصر السلاطين المماليك ،التاريخ السياسي والإجتماعي .ط1عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،القاهرة 1998.

36. عوض عبد العزيز محمد ،الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1914،1884 ط1،دلر المعارف القاهرة ،مصر ،د،س ت

37. غربي الغالي دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 288هـ1916م،ديوان المطبوعات. الجامعية الجزائر 2007.

38. غولد اغناس،العقيدة والشريعةفي الإسلام .د ط .دار الكتاب .القاهرة ،1996

39. الكوثراني وجيه ،السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثملنية في بلاد الشام ،مركز دارسات الوحدة العربية بيروت لبنان 1982

40. لابيدوس ايرامارفين ،مدن الشام في العصر المملوكي ،تر سهيل زكار ،دار حسان دمشق سوريا،1985

41. متولي احمد فوائد ،الفتح العثماني للشام ومقدماته من واقع الوثائق ومصادر التركية وللعربية المعاصرله ،ط1،دار النهضة العربية القاهرة 1976

42. مصطفي احمد عبد الرحيم ،في اصول التاريخ العثماني ،ط2،دار الشروق ،بيروت 1986 .

43. مغيث كمال حامد،مصر في العصر العثماني 1517 1594،تح رووف عباس ،ط1 مركز للدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ،القاهرة ،مصر 1994

44. ونتر مايكل ،المجتمع السوري تحت الحكم العثماني ،د ط ،تر ابراهيم محمد ابراهيم، مر عبد الرحمان عبد الله الشيخو،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة مصر ،2001

45. ياغي اسماعيل احمد ،الدولة العثمانية في تاريخ الإسلامي الحديث مكتبة العبيكان ،الرياض،1996.

3-مذكرات

1. فتيحة علوش الحياة الفكرية في مضر والشام خلال الفترة العثمانية من الربع الأول من القرن 16م/10ه الي غاية منتصف القرن 19م/13ه،مذكرة لنيل شهادة الماجستر في تاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر 214،2013

2. الزبيري بومدين ،الإدارة العثمانية لبلاد الشام في القرنين 16و17من خلال دفاتر المهمان ،مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث ولمعاصر ،جامعة المدية 2012.2013

3. الدوريات 1الحوراني ألبرت ،الأسس العثمانية للشرق الأوسط الحديث مجلة تاريخ العرب والعالم ،ع17 ديسمبر 1979 02عامر محمد، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية لمجلة دراسات تاريخية،ع118،حزيران 2012

4. الراوي عماد كريم عباس ،سياسة الدولة العثمانية اتجاه العشائر في ايالة الشام ،1516 مجلة التراث العربي _49 اكتوبر 1992

5. الكيلاني ابراهيم ،مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة ،الأيوبي والمملوكي والعثماني ،مجلة التراث العربي ،ع 49،اكتوبر 1992

6. زيادة نيقولاي ،الفتح العثماني لبلاد الشام وآثاره المباشر مجلة الإجتهاد الأبحاث والترجمة ،ع44،اكتوبر 1999

7. مجلي ماجد ثامر ،مشاهير مؤرخي مصر والشام في العصر العثماني ومصنفاتهم التاريخية ،مجلة كلية التربية ،ع11،دت،ن

5/الموسوعات

1. مولي علي الموسوعة العربية الكبيرة ط1 المكتبية العربية ،بيروت لبنان 2010

2. الزدي مفيد،موسوعة التاريخ الاسلامي العصر العثماني دار اسامة للنشر والتوزيع ،عمان الأردن 2009

6المعاجم

1. الحموى ياقوت ،معجم البلدان ، ج5دار الصادر بيروت ،لبنان.

2. صبان سهيل ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخيةومكتبة الملك فهد ،الرياض 2000

3. صابان عباس ،النعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ،مركز دار العلم للملايين ،بيروت لبنان 1994

4. المصري مجيب ،معجم الدولة العثمانية ،ط1الدار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة مصر ،2003.

القواميس

1. الزركلي خير الدين قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء العرب والمستعمرين والمستشرقين ،ط4،دار العلم للملايين بيروت لبنان1979

الفهـــرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	–
إهداء	–
مقدمة	ا–هـ
المبحث الأول :الدخول العثماني للبلاد العربية	31–7
–1المطلب الأول :اسباب التوجه العثماني نحو المشرق	12–8
–2المطلب الثاني :الدخول الى الشام	16–13
–3المطلب الثالث: الدخول الى مصر	19–17
4–المطلب الرابع: السياسة العثمانية في البلاد العربية	31–20
المبحث الثاني :العلماء وعلاقتهم بالسلطة	45–33
–1مطلب الأول : تصنفاتهم	36–34
–2مطلب الثاني:وظائفهم	41–37
–3مطلب الثالث :علاقتهم بالسلطة	45–42
المبحث الثالث: مواقف العلماء من الوجود العثماني في المشرق	67–46
–1المطلب الأول: الموقف المعارض	53–47

2-المطلب الثاني :الموقف المؤيد	61-54
3-المطلب الثالث: ردة فعل الدولة العثمانية من هدة المواقف.	67-62
خاتمة	76-69
الملاحق	73-72
قائمة المصادر والمراجع	83-75
الفهرس	86-85